





سلسلة الأحاديث الروحيّة

كمالُ العقلِ

قراءة مبسّطة في حديث الإمام الرّضا (ع) حول خصال العقل

بقلم

السيد عبدالله الغريفي



إعداد

لجنة الغُريفي الثقافيّة

www.alghuraifi.org





الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م







المحتويات







الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس







مقدّمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين وأفضل الصّلوات على سيّد الأنبياء والمرسلين محمدٍ وعلى آله الهداة الميامين...

الأوراق التي بين يدي القارئ تحمل قراءةً مبسّطةً ومتواضعةً لرواية مولانا الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام حول (خصال العقل العشر)...

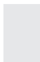
فالإمام عليه السلام يضعنا أمام تعريفٍ عمليٍّ متحرّكٍ للعقل، فليس العقل أن نمتلك مخزونًا كبيرًا من الأفكار والمفاهيم والمعلومات، وإذا لم يتحوّل هذا المخزون إلى ممارسةٍ عمليّةٍ تُعبّر عن صدقيّة العقل وكماله، فالقيمة الحقيقيّة للعقل الإيمانيّ أن يُعطي هذا العقل لصاحبه واقعًا تتجسّد من خلاله المضامين والقيم النظيفة والفاعلة والقادرة على صُنع الإنسان الصالح ...

نسأل اللّه تعالى أن ينفعنا بهذا التوجيه الصّادر عن معدن العلم والتّقى وأئمّة الهدى عليهم صلوات اللّه وتحيّاته وبركاته.

السّيد عبداللّه الغريفي












خِصال كمال العقل عند الإنسان المؤمن

هذه بعض كلمات لإمامنا عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام يتحدّث من خلالها عن مجموعة خصالٍ تُشكّل كمال العقل عند الإنسان المسلم.

قال عليه السلام: «لا يَتمُّ عَقلُ امرئٍ مُسلم حَتَّى تَكونَ فيه عَشْرُ خِصَالٍ:

- **الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمولٌ والشَّرُ مِنْهُ مَأْمُونٌ..**
- **يَسْتَكْثِرُ قليلَ الخيرِ مِنْ غَيرِه، ويَسْتَقِلُّ كَثيرَ الخَيرِ مِنْ نَفْسهِ..**
- **لا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الحَوائجِ إليه..**
- **ولا يَمَلُّ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ طُولَ دَهْرِه..**
- **الفَقْرُ في الله أَحبُّ إليه مِنَ الغِنَى..**
- **والذُّل في الله أحبُّ إليه مِنَ العزِّ في عَدُوِّه..**
- **والخُمُولُ [في الله] أَشْهَى إليه مِنَ الشُّهْرَة..**
- **ثمّ قال عليه السلام: العاشِرَةُ وما العَاشرةُ؟**
- **قيل له: ما هي؟ قال عليه السلام: لا يَرَى أَحدًا إلّا قالَ: هُو خَيْرٌ منِّي وأَتْقَى، إنَّمَا النَّاسُ رَجُلان: رَجُلٌ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقَى وَرَجُلٌ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى، فإذَا لَقيَ الذي شَرٌّ مِنْهُ وأَدْنَى قَالَ: لَعَلَّ خَيْرَ هَذا بَاطِنٌ وهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَخَيْري ظَاهرٌ وَهُو شَرٌّ لي، وإذا رَأَى الذي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وأَتْقَى تَواضَعَ لَه ليَلْحَقَ به، فإذَا فَعَلَ ذَلك فَقَدْ عَلا مَجْدُهُ وطَابَ خَيْرُهُ وحَسُنَ ذِكْرُهُ وسَادَ أَهلَ زَمَانِه»[1].**

---

(١) ابن شعبة الحرّاني: تحف العقول، ص ٤٤٣.















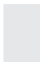

الفصل الأول

الخِصلتان الأولى والثانية

- «الخَـيْرُ مِنْهُ مَأْمَـولٌ»
- «والشَّرُ مِنْهُ مَأْمُونٌ»












الخِصلتان الأولى والثانية

(الخيرُ منه مأمولٌ، والشّرُّ منه مأمونٌ)

من الصفات التي تُميِّز العقل عند الإنسان المسلم أن يكون دائمًا مصدر خيرٍ وعطاءٍ تنجذب إليه القلوب، وتنشدّ إليه النفوس، فهو كالنبع العذب يسقي الظمآن، ويبهج الأرواح، ويزرع الخصب في الأرض، وكالشجرة الطيّبة ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

(الخير) عنوانٌ كبيرٌ تتّسع له كلّ الصفات والأفكار والمشاعر والممارسات الطيّبة، ويتحوّل كلّ ذلك عند الإنسان المسلم إلى طاعةٍ، وعبادة، وصدقة.

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيُك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضّلال صدقة، وإماطتك الحجر والشّوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دَلْوِك في دلو أخيك صدقة»[2].
- وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ على كلّ مسلم في كلّ يوم صدقة، قيل: من يطيق ذلك؟ قال صلى الله عليه وآله: إماطتك الأذى عن الطريق صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وردّك السلام صدقة»[3].

---

(١) إبراهيم: آية ٢٥

(٢) المتّقي الهندي: كنز العمال ٦/ ٤١٠، الفصل الثالث في أنواع الصدقة، ح ١٦٣٠٥.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٧٢/ ٥٠، ب٤١، باب ثواب إماطة الأذى عن الطريق، ح٤.







- وقال ﷺ: «أفضل الصّدقة صدقة اللّسان تحقن به الدّماء، وتدفع به الكريهة، وتجرّ المنفعة إلى أخيك المسلم»[١].

وإذا كان المرء المسلم مصدر خيرٍ دائمًا فلن يجد الشّر إليّه سبيلًا، لذلك فالناس منه في أمانٍ واطمئنانٍ لا يصلهم منه إلّا الخير.

هذه بعض رواياتٍ تؤكّد القيمة الكبيرة لفعل الخير في معناه الواسع الكبير، وتحذّر من فعل الشّر والإساءة وإيذاء الناس.

- عن رسول اللّه ﷺ قال: «خصلتان ليس فوقهما من البرّ شيءٌ: الإيمان باللّه، والنّفع لعباد اللّه، وخصلتان ليس فوقهما من الشّر شيءٌ: الشّرك باللّه، والضرّ لعباد اللّه»[٢].
- وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئًا، فإنّ صغيره كبير، وقليله كثير»[٣].
- وعنه عليه السلام قال:«جُمِع الخير كلّه في ثلاث خصال: النّظر والسكوت والكلام؛ فكلّ نظرٍ ليس فيه اعتبارٌ فهو سهو، وكلّ سكوتٍ ليس فيه فكرٌ فهو غفلة، وكلّ كلام ليس فيه ذكرٌ فهو لغو، فطوبى لمن كان نظره عبرًا، وسكوته فكرًا، وكلامه ذكرًا...»[٤].
- وعنه عليه السلام قال: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك وعملك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة

---

(١) النوري: مستدرك الوسائل ١٢/٣٦٧، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، ب ٩٣، ح ٦.

(٢) ابن شعبة الحرّاني: تحف العقول، ص ٣٥.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١/ ١١٨، كتاب الطهارة، أبواب مقدّمات العبادات، ب ٢٨، ح ٩.

(٤) الصّدوق: الأمالي، المجلس الثامن، ح٢.







ربّك، فإن أحسنت حمدت اللّه، وإن أسأت استغفرت اللّه...»[١]

- وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السّلام، وصلّى بالليل والناس نيام»[٢].

وأما الرّوايات التي تحذّر من فعل الشّر، والإساءة وإيذاء الناس فهذه طائفةٌ منها:

- عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرٌّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره...»[٣].
- وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «شرّ الناس من يظلم الناس»[٤].
- وقال عليه السلام: «شرّ الناس من يغشّ الناس»[٥].
- وقال عليه السلام: «شرّ الناس من لا يُبالي أن يراه الناس مسيئًا»[٦].
- وقيل: أيّ الناس شرّ؟ قال صلى الله عليه وآله: «العلماء إذا فسدوا»[٧].
- وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «من آذى مؤمنًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه، ومن آذى اللّه فهو ملعونٌ في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»[٨]، وعنه صلى الله عليه وآله قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه

(١) نهج البلاغة: ج٤/٦٨١، المختار من حكم أمير المؤمنين (ع)، رقم ٩٤.
(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٤/ ٣٠٦، كتاب الأطعمة، أبواب آداب المائدة، ب ٣٠، ح ٧.
(٣) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٤، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، ب ٧١، ح ١١.
(٤) الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٩٤، ب ١٣، الفصل الثاني بلفظ شر.
(٥) المصدر نفسه: ص ٢٩٥.
(٦) المصدر نفسه: ص ٢٩٥.
(٧) ابن شعبة الحرّاني: تحف العقول، ص ٣٥.
(٨) المجلسي: بحار الأنوار ٦٤/ ٧٢، أبواب الإيمان، ب٢، فيمن آذى مؤمنا، ح٤٠.







ويده»[١].

- وعنه ﷺ قال: «ألا أنبئكم بالمؤمن، من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، ألا أنبئكم بالمسلم، من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٢].
- وعن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: «من أهان لي وليًا فقد أرصد لمحاربتي وأنا أسرع شيءٍ إلى نصرة أوليائي»[٣].
- وعنه عليه السلام قال: «قال الله عزّ وجلّ: ليأذن بحربٍ منّي من أذلّ عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»[٤].

كم هي رائعةٌ وخلّاقةٌ تعاليم الإسلام، والتي لو أعطيناها بعض الحضور في حياتنا لأنتجت الكثير من الخير والبركة والسعادة والأمن والاستقرار، ولأنتجت (مجتمع المحبّة والأخوّة).

- قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[٥].

لو عاش الناس الشريعة كما أرادها الله فيما صاغته من حقوقٍ وواجبات ومناهج وتوجيهاتٍ وإرشاداتٍ لتحوّلت الحياة إلى رخاءٍ وسعةٍ والى جنّةً الله على الأرض.

---

(١) الكليني: الكافي ٢/ ٢٤٢، كتاب الإيمان والكفر، ب ٩٩ (المؤمن وعلاماته)، ح١٢.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٤٣، ح١٩.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٥٢، ب ١٤٥ (من آذى المسلمين واحتقرهم)، ح١٩.
(٤) الحر العملي: وسائل الشيعة ١٢/ ٢٦٩، كتاب الحج، أبواب العِشرة، ب ١٤٧، ح١.
(٥) الجن: آية ١٦.







إلّا أنّ الناس عاشوا التجافي والابتعاد عن تعاليم الله سبحانه وتعالى، ما حوّل الحياة إلى حياةٍ مثقلة بالبؤس والشّقاء والأتعاب والمشكلات والأزمات.

- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾(١).

وفي هذا السّياق نَعرض إلى واحدٍ من التطبيقات التي أكّد عليها الإسلام كتجسيدٍ لعمل الخير، واجتنابٍ لعمل الشّر، هذا التطبيق يتمثّل فيما حثّ عليه الدّين من (تواصلٍ وتقارب) وفيما حذّر عنه من (تهاجرٍ وتدابر).

وهنا نقف مع مجموعة توجيهاتٍ:

١- إفشاء التحيّة والسّلام:

وكم لهذا الخُلق الإسلاميّ من أثرٍ كبيرٍ في مواصلة القلوب، وفي مقاربة الأرواح، وفي إشاعة الاطمئنان والأمن والسّلام، وفي زرع المحبّة والمودّة والصّفاء.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾(٢).
- وقال النبيّ ﷺ: «يا أنس، سلّم على من لقيت يزيد الله في حسناتك، وسلّم في بيتك يزيد الله في بركاتك»(٣).

(١) طه: الآيات ١٢٤ – ١٢٦.

(٢) النساء: آية ٨٦.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٧٣/ ٣، أبواب التحيّة والتسليم، ب ٩٧، ح ٥.







- وقال ﷺ: «إنّ أبخل النّاس من بخل بالسّلام»[١].
- وقال ﷺ: «أولى النّاس بالله وبرسوله من بدأ بالسّلام»[٢].
- وقال ﷺ: «يا فضل، هل تدري ما تفسير (السّلام عليكم) إذا قال الرجل للرجل: السّلام عليكم ورحمة الله؟ معناه على عهد الله وميثاقه أن لا أغتابك، ولا أعيب عليك مقالتك، ولا أريد زلّتك، فإذا ردّ عليه: وعليكم ورحمة الله وبركاته، يقول: لك عليّ مثل الذي عليك ورحمة الله، والله شهيدٌ على ما يقولون»[٣].

هذا الحديث يُعطي للسّلام معنى العهد والميثاق مع الله سبحانه وهو معنىً خطيرٌ جدًا، فسلامك على أخيك هو عهدك وميثاقك مع الله ألّا تخون أخاك، ألّا تُدبّر له المكائد، ألّا تُسيء إلى شخصيّته، ألّا تُسقط مُروءته، ألّا تتعدّى على كرامته.

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أفشوا السّلام، وأطيبوا الكلام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنّة بسلام»[٤].
- وقال عليه السلام: «للسّلام سبعون حسنة، تسعٌ وستّون للمبتدئ وواحدةٌ للرّاد»[٥].
- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا دخل الرجل منكم بيته فإن كان فيه أحدٌ يسلّم عليهم، وإن لم يكن فيه أحدٌ فليقل: السّلام علينا من عند ربّنا»[٦].

(١) المصدر نفسه: ص ١٢، ح ٤٧.
(٢) الكليني: الكافي ٢/ ٦١٥، كتاب العِشرة، ب ٧ (التسليم)، ح٣.
(٣) الطبرسي: مشكاة الأنوار، ص ٣٤٩/ ب ٤/ ف٤، .
(٤) الكليني: الكافي ٢/ ٦١٦، كتاب العِشرة، ب ٧ (التسليم)، ح٧.
(٥) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥/ ١٢٠، ب٢٠ (مواعظ الحسين عليه السلام)، ح ١٧.
(٦) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٢/ ٨١، كتاب الحجّ، أبواب أحكام العِشرة، ب ٥٠، ح٣.







٢- التصافح:

أن يلتقي المسلم أخاه فيصافحه بحرارةٍ وحبّ، ويشدّ على يده بكلّ طهرٍ وصفاء، وخلقٍ إيمانيٍّ رفيع، وأدبٍ إسلاميٍّ سام، له معطياته الكبيرة في تذويب كلّ الحساسيّات وفي اقتلاع كلّ الضغائن وفي خلق التجاذب والتواصل والتقارب.

وقد أكّدت هذا الخُلق عدّة من الروايات:

- قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار»(١).
- وقال صلى الله عليه وآله: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلّم عليه وليصافحه فإنّ اللّه عزّ وجلّ أكرم بذلك الملائكة، فاصنعوا صنع الملائكة»(٢).
- وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»(٣).
- وقال عليه السلام: «مصافحة المؤمن بألف حسنة»(٤).
- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا صافح الرجل صاحبه فالذي يلزم التصافح أعظم أجرًا من الذي يدع، ألا وإنّ الذّنوب لتتحاتّ فيما بينهما حتى لا يبقى ذنب»(٥).

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٢٠، ب ١٢٦، ح٩.
(٢) المصدر نفسه: ص٢٢٠، ب ١٢٦، ح٨.
(٣) المصدر نفسه: ص٢١٩، ب ١٢٦، ح٤.
(٤) المصدر نفسه: ص٢٢٣، ب ١٢٦، ح١٨.
(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٢/ ١٤٣،كتاب الحجّ، أبواب أحكام العِشرة، ب ١٠٠، ح٣.







٣- المحبّة في اللّـه:

من هم المتحابّون في اللّه؟

هم الذين ملأ قلوبهم حبُّ اللّه، ومن خلال هذا الحبّ وحده التقّت قلوبهم والتقّت أرواحهم والتقّت مشاعرهم، فما كان حبّ أحدهِم للآخر ينطلق من رغبات دنيا، أو مصالح هوى أو عصبيّة أرضٍ أو عصبيّة أسرة، قد تفرض رغبة هوى في داخل أحدنا علاقةً مع الآخرين، وقد تفرض مصلحةُ دنيا أحدنا علاقةً مع الآخرين، وقد تفرض عصبيّة أسرةٍ أو عصبيّة أرضٍ علاقةً مع الآخرين، وإذا فتّشنا في هذه العلاقات فلن نجد لحبّ اللّه نصيبًا.

الذين ينزلون منازل القرب من عرش اللّه على منابر النّور هم الذين يؤسّسون علاقاتهم على حبّ اللّه تعالى، فلا يحكمهم هوىً أو مصلحةً أو عصبيّةً على حساب حبّ اللّه، هذه العناوين تسقط عندهم حينما تصطدم مع حبّ اللّه تعالى، فكم يملك أحدنا من علاقةٍ محكومة لحبّ اللّه سبحانه؟ إذا أردتم أن تكونوا على منابر النّور حول عرش اللّه تعالى، وممّن يغبطكم الأنبياء والشهداء فكونوا المتحابّين في اللّه تعالى.

من المؤسف أنّنا في عصرٍ أصبح التحابب في اللّه قليل، أصبحت كلّ العلاقات أقوى من علاقة الحبّ في اللّه، أصبحت علاقة الأرض، علاقة السياسة، علاقة المصالح الذاتيّة، علاقة الانتماءات الدنيويّة أقوى من علاقة الحبّ في اللّه.

نعود للتّذكير بقيمة الحبّ في اللّه من خلال الروايات والأحاديث، إضافةّ إلى ما سبق من حديث.







هذه طائفةٌ أخرى من الروايات:

- عن رسول الله ﷺ قال: «يُنصب لطائفةٍ من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، فقيل من هم يا رسول الله؟ قال: هم المتحابّون في الله»[1].
- وعنه ﷺ قال: «إنّ الله جلّ وعلا يقول يوم القيامة: أين المتحابّون بجلالي اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلا ظلّي»[2].
- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: أيّ عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصّلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحجّ والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله ﷺ: «لكل ما قلتم فضلٌ، وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله، وتوالي أولياء الله والتبرّي من أعداء الله»[3].
- وعن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: «إذا جمع الله عزّ وجلّ الأوّلين والآخرين قام منادٍ فنادى يُسمِعُ الناس فيقول: أين المتحابّون في الله؟ قال: فيقوم عنقٌ من الناس، فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب، قال: فتلقّاهم الملائكه فيقولون: إلى أين؟، فيقولون: إلى الجنّة بغير حساب، قال: فيقولون: فأيّ حزبٍ

---

(١) شرف الدين: الفصول المهمة في تأليف الأمة، الفصل الأول، ص ١١.

(٢) المازندراني: شرح أصول الكافي ٨/ ٣٦٨، باب الحبّ في الله والبغض في الله، ح ٨.

(٣) الكليني: الكافي ٢/ ١٣٢، كتاب الإيمان والكفر، ب٦٠ (الحبّ في الله والبغض في الله)، ح٦.







أنتم من الناس؟، فيقولون: نحن المتحابّون في الله، قال: فيقولون وأيّ شيءٍ كانت أعمالكم؟، قالوا: كنّا نحبّ في الله ونبغض في اللّه، فيقولون: نِعم أجر العاملين»[١].

- وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيرًا فانظر إلى قلبك فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خيرٌ والله يحبّك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خيرٌ والله يبغضك والمرء مع من أحبّ»[٢].

٤- المجالسة في اللّـه:

من هم المتجالسون في اللّه؟

المتجالسون في الله هم الذين يكون لقاؤهم للّه تعالى، وأحاديثهم للّه تعالى، وحواراتهم للّه تعالى.

اللقاءات الفرديّة، واللقاءات الجماعيّة، ولقاءات القوى والأحزاب والجمعيّات والمؤسّسات، ولقاءات الدول والأنظمة والكيانات.

هذه اللقاءات كلّها تتحرّك في اتجاهين:

أ - لقاءاتٌ للّه سبحانه فيها رضى.

ب - لقاءات ليس للّه فيها رضى.

فأنت أيّها المؤمن مسؤولٌ أن تكون لقاءاتك تتحرّك في خطّ رضا اللّه، وحذارِ من كلّ لقاءٍ يُغضب اللّه تعالى.

(١) الكليني: الكافي ٢/ ١٣٣، كتاب الإيمان والكفر، ب٦٠ (الحبّ في الله والبغض في الله)، ح٨.
(٢) المصدر نفسه: ص ١٣٣، ح١١.







لا تقل هذا لقاءٌ سياسيّ، أو لقاءٌ ثقافي، أو لقاءٌ اجتماعيّ، أو لقاءٌ تجاريّ، أو لقاءٌ رياضيّ، أو لقاءٌ ترفيهيّ أو.. أو.. كلّ اللقاءات، كلّ المحادثات، كلّ المؤتمرات، كلّ الفعّاليات، كلّ المنتديات يجب أن تكون خاضعةً لمعايير الدّين، إنّ المشروع المناهض للدّين، والذي تتزعّمه في هذا العصر أمريكا وقوى العلمنة والتغريب، هذا المشروع يصرّ على إقصاء الدّين عن كلّ مفاصل الحياة تحت شعار الرفض لـ «تسيّس الدين وتديّن السياسة».

وليتهم اكتفوا بالدّعوة إلى إقصاء الدّين، ومحاصرة الدّين، وتعطيل حركة الدّين، إنّهم يسعون جاهدين إلى اقتحام مواقع الدّين، والهيمنة على خطاب الدّين، والسيطرة على قرار الدّين.

إذا كنتم لا تسمحون للدّين أن يتحرّك في ساحات السياسة، وفي ساحات الثقافة، وفي كلّ ساحات المجتمع، فاتركوا للدّين خطابه، واتركوا للدّين قراره، واتركوا للدّين مساجده، وحسينيّاته، وحوزاته، وما تبَقّى له من مواقع.

وممّا يؤسف له أن ينخدع البعض بمشروعاتٍ تتحرّك هنا وهناك، هي مشروعاتٌ تضرّ عاجلًا أو آجلًا بإستقلاليّة الخطاب الدّينيّ، كما هو مشروع الكادر الوظيفي لأئمّة الجمعة والجماعة، وتجارب الدول الأخرى أكبر شاهدٍ على ذلك، إنّنا ندعو الإخوة الذين تكوّنت عندهم القناعة بالإنتماء لهذا المشروع أن يُعيدوا النّظر، ويحاسبوا كلّ النتائج، ويقرأوا الأمر بكلّ موضوعيّة، ويضعوا أمامهم كلّ الإحتمالات، فالمسألة ليست شأنًا خاصًّا، إنّها تمسّ مِفصلًا خطيرًا من مفاصل هذا الكيان، وتمسّ







تاريخًا طويلًا من الاستقلال عاشته هذه المدرسة، والمسؤوليّة كبيرةٌ وكبيرة، ولا يمكن لتبريراتٍ واهمةٍ أن تُعطي الشرعيّة لهذا النّمط من المشروعات.

أيّها الأحبّة:

إذا كان المتجالسون في الله على منابر من نور، فما أحوجنا في هذا الزّمان الذي تأسره أو تحاول أن تأسره غوايات الشيطان وخطط الشيطان وأطماع الشيطان.

ما أحوجنا إلى أن نطرح شعار (المجالسة في الله) لنحدّد مفاصلتنا مع كلّ المجالسات التي ليس لله فيها نصيب، وكم هي خطِرة هذه المجالسات، مسؤوليّتنا أن نحاسب كلّ المجالسات وكلّ الملتقيات وكلّ المنتديات.

قد يُقال: هل يعني هذا أنكم ترفضون مجالسة الآخر الذي يختلف معكم في الدّين وفي المبدأ وفي العقيدة وفي الهدف وفي المنهج؟

إنّنا لا نرفض ذلك، ولكن لا يجوز وتحت أيّ مبررٍ من المبرّرات أن نُفرّط في معاييرنا الدينيّة، وفي أهدافنا الإسلاميّة، وفي قيمنا الأخلاقيّة، وفي ثوابتنا الشرعيّة.

إذا كانت هذه المجالسات واللقاءات تقود إلى ذلك التفريط، فهي مجالساتٌ ولقاءاتٌ مرفوضةٌ كلّ الرفض، إنّنا يجب أن نعيش (مبدئيّتنا) بشجاعة، وليس في هذا إنغلاقٌ وجمودٌ وتزمّتٌ وتشدّد، إن مرونة الحوار وشفافيّة الحوار لا تعني التنازل عن (المبدئيّة) وعن (القناعات) وعن (الأهداف).





قد تفرض الظروف الموضوعيّة، وحسابات النتائج أن نصوغ (الموقف) بهذه الطريقة أو تلك، ولكن لا يصحّ أبدًا التفريط في المبادئ والقيم والأهداف الأساسيّة، فيجب أن تبقى هذه العناوين متحرّكة في وعي الأمّة، وفي وجدان الأمّة، وفي طموحات الأمّة، وهذا لا يعني أن نتجمّد ضمن خيارٍ واحدٍ في ممارساتنا السياسيّة أو الثقافيّة أو الاجتماعيّة،إنّها الحركة المفتوحة لكلّ الخيارات؛ ما دامت هذه الخيارات لا تصادر (المبدئيّة والقيم والأهداف) وما دامت هذه الخيارات في منظور الأرباح والخسائر تمثّل الموقف المنسجم مع الرؤية الشرعيّة التي يجب أن تحكم كلّ المواقف والخيارات وكلّ اللقاءات والمحادثات.

إنّ حديث (التحابب في اللّه) و(التجالس في اللّه) و(التزاور في اللّه) الذي بدأنا به يؤكّد على قضيةٍ هامّة وخطيرة، يجب أن تكون حاضرةً في وعي الإنسان المسلم، وفي وجدان الإنسان المسلسم، وفي كلّ إنطلاقاته العمليّة هي أن يكون (اللّه) وحده هو الذي يجب أن يحكم علاقاتنا مع الآخرين، مع المشروعات، مع القرارات مع المواقف، مع القبول مع الرفض، مع الحركة مع الوقوف، مع المواجهة مع المصالحة، مع المباينة، مع المهادنة، ويوم نكون هكذا فنحن مؤهّلون أن نكون مع الأبرار على منابر من نور، في ظلّ عرش اللّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، ويوم لا حكم إلّا حكمه، ويوم لا عطاء إلّا عطاؤه، ويوم لا رحمة إلّا رحمته.

لماذا منابرهم من نور ووجوههم تشرق بالنّور وأجسادهم يغمرها النّور؟

لأنّهم عاشوا في هذه الأرض مع نور اللّه، فلا بدّ أن يكون معهم نور







اللّه حينما يفترشون القبور، وأن يكون معهم نور اللّه حينما يُبعثون، وأن يكون معهم نور اللّه حينما يقفون في المحشر، وأن يكون معهم نور اللّه وهم في الجنان يتنعّمون ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[١].

٥- التزاور في اللّـه:

من هم المتزاورون في اللّه؟

أن يخرج أحدكم من بيته أو يتحرّك من أيّ موقع قاصدًا زيارة أخٍ مؤمنٍ وهو لا يحمل في داخله إلّا هدفًا واحدًا أن تكون هذه الزيارة للّه وفي اللّه.

- جاء في حديثٍ لإمامنا الصّادق عليه السلام أنّه قال: «أيّما مؤمنٍ خرج إلى أخيه يزوره عارفًا بحقّه كتب اللّه له بكلِّ خطوةٍ حسنة، ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة، وإذا طرق الباب فُتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل اللّه عليهما بوجهه ثمّ باهى بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدَيَّ تزاورا وتحابّا فيَّ، حقٌّ عليَّ ألّا أعذّبهما بالنار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيّعهُ الملائكة عدد نَفَسِه وخطاه وكلامه، يحفظونه من بلاء الدّنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب، وإن كان المزور يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزّائر من حقّ المزور كان له مثل أجره»[٢].

وهنا نتساءل: ماذا يعني أن تكون الزيارة من أجل اللّه؟

(١) النور: آية ٤٠.

(٢) الكليني: الكافي ٢/ ١٩٢، كتاب الإيمان والكفر ب ٧٩ (المعانقة)، ح١.







لهذا العنوان مصاديق منها:

- أن تكون الزيارة حبًّا خالصًا لأخٍ مؤمن، كونه عبدًا صالحًا مطيعًا لله تعالى.
- أن تكون الزيارة هادفة إلى قضاء حاجة مؤمن طمعًا في رضوان الله تعالى.
- أن تكون الزيارة تعاونًا على البر والخير والتقوى والصلاح ومواجهة الفساد والانحراف.
- أن تكون الزيارة ضمن برنامج العمل في خدمة الدّين وأهداف الدّين.
- أن تكون الزيارة تأسيسًا لموقفٍ إيمانيّ ينطلق من رؤيةٍ شرعيّة واضحة فيما هي قضايا الأمّة الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة.

لك أيّها المؤمن أن تتحرّك في زيارة أو تواصل أو لقاء، ولكن يجب أن يكون (الله) هدفك وأن تكون محكومًا لضوابط الدّين والشريعة.

من المؤسف أنَّ كثيرين من أبناء هذا الدّين أصبحوا يقلّلون من شأن (المعايير الدينيّة) في التعاطي مع قضايا الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة والسّياسية، أنا لا أتحدّث عن أولئك الذين يعادون الدّين، ولا يريدون له أيّ حضورٍ اجتماعيّ أو أيَّ حضورٍ ثقافيّ أو أيَّ حضورٍ سياسيّ، هؤلاء لنا معهم حديثٌ آخر، حديثي مع أبناء الدّين، أبناء المسجد، أبناء الحسينية، في هؤلاء من بدأ يضعف في داخله (حسُّ الدّين) و(معايير الدّين)، ليس مُهِمًّا أن نمارس عملًا ثقافيًّا أو عملًا اجتماعيًّا أو عملًا سياسيًّا، المهمّ







أن تتحول هذه الممارسة الثقافيّة أو الاجتماعيّة أو السياسيّة إلى (عملٍ صالح) وفق معايير الدّين.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].
- قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾[٢].
- قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[٣].
- قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٤].
- قال تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٥].

أيّها المؤمن:

احرص أن يكون عملك لله، أن يكون جهدك لله، أن يكون عناؤك لله، أن يكون نشاطك لله، أن تكون تضحيتك لله، وإلّا كان العمل ضائعًا، والجهد ضائعًا، والعناء ضائعًا، والعطاء ضائعًا، العناوين الكبيرة لا تنفعك إذا لم يكن العمل خالصًا لله تعالى، قد ينتج لك هذا العمل أو ذاك شهرةً أو جاهًا أو حضورًا، ولكن كم لله تعالى من نصيبٍ في هذا العمل؟

- «إنّ العبد ليُنشر له من الثّناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند

(١) فصلت: آية ٣٣.
(٢) الكهف: آية ١١٠.
(٣) مريم: آية ٦٠.
(٤) طه: آية ٨٢.
(٥) القصص: آية ٨٠.







اللّه جناح بعوضة»[١].

قد يكون هذا الإنسان في نظر الناس كبيرًا وكبيرًا، ولكن المهمّ كم هي قيمته كم هو حجمه عند اللّه؟ قد يكون هذا العمل في نظر الناس عظيمًا وعظيمًا، ولكنّ المهمّ كم هي قيمته عند اللّه سبحانه؟ قد يكون أحدنا عالمًا، مفكرًا، مثقّفًا، كاتبًا، خطيبًا، مبلّغًا، يملك من الشهرة الكثير الكثير، قد يكون أحدنا سياسيًّا تُصفّق له الجماهير، قد يكون أحدنا مسؤولًا كبيرًا يتزلّفه الناس، قد يكون أحدنا تاجرًا، وجيهًا، يحظى بالكثير من الإحترام والتقدير، ولكنّ السؤال الأهم: كم يكون أحدنا قريبًا من اللّه، صادقًا مع اللّه، عاملًا للّه؟

- يُروى عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «أول ما يُسأل يوم القيامة ثلاثة: رجل آتاه اللّه العلم، فيقول اللّه تعالى: ماذا صنعت فيما علمت؟ فيقول: يا ربِّ كنت أقوم به آناء الليل والنّهار، فيقول اللّه عزّ وجلّ: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يُقال فلانٌ عالم ألا فقد قيل ذلك. ورجل آتاه اللّه مالًا، فيقول اللّه تعالى: قد أنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول: يا ربِّ كنت أتصدّق به آناء الليل والنهار فيقول اللّه عزّ وجلّ: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، أردت أن يُقال فلانٌ جواد، ألا فقد قيل ذلك. ورجلٌ قُتل في سبيل اللّه، فيقول اللّه تعالى: ماذا صنعت؟ فيقول: أمرتَ بالجهاد فقاتلتُ في سبيلك حتى قُتلت. فيقول اللّه عزّ وجلّ: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يُقال فلانٌ شجاع، ألا فقد قيل ذلك»[٢].

---

(١) العلجوني: كشف الخفاء: ج ١، ص ٢٢١، ح ٦٧٣.

(٢) الإمام زين العابدين: شرح رسالة الحقوق، الإخلاص للّه وماهيّته، ص ٦٤.







فليحاسب أحدنا عمله، حركته، نشاطه، مواقفه، في ضوء مقياس الدّين، ومقياس الشريعة، ومقياس القِيَم، وليس في ضوء المقاييس الأخرى المرفوضة من قبل الدّين والشريعة والقِيَم، قد يُبهرنا عنوانٌ هنا، ويشدّنا عنوانٌ هناك وفي زحمة هذا الانبهار والانشداد تتيه بنا الرؤية، وينحرف بنا المسار، وترتبك عندنا المعايير، إنّها منزلقاتٌ صعبة لا ينجو منها إلّا أصحاب البصائر الإيمانيّة الذين أشرقت قلوبهم بأنوار الله سبحانه.

- قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[١].
- قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[٢].

٦- التحذير من التهاجر والتدابر والتقاطع:

ولا أشدّ خطرًا على وحدة المجتمع، وتماسكه وتلاحمه من التهاجر والتدابر والتقاطع، وهكذا تتمزّق أواصر الأخوّة، وتتهدّم مكوّنات التآلف، وتتشتّت القدرات والطاقات، وتضعف الهمم والعزائم، وتنهزم المواقف والإرادات.

وجاءت الروايات محذّرة كلّ التحذير من هذه الظاهرة المدمّرة:

- فعن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه ثلاثة أيام، والسابق يسبق إلى الجنّة»[٣].
- وعن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «لا يفترق رجلان على الهجران إلّا

(١) النور: آية ٤٠.
(٢) الإسراء: آية ٧٢.
(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٢/٢٦٣، كتاب الحجّ، أبواب أحكام العِشرة، ب ١٤٤، ح ١١.





استوجب أحدهما البراءة واللّعنة، وربما استحقّ ذلك كلاهما، فقال له معتّب: جعلني الله فداك، هذا الظالم فما بال المظلوم؟ قال عليه السلام: لأنّه لا يدعو أخاه إلى صلته، ولا يتغامس - أي يتغافل- له عن كلامه، سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان فعازّ أحدهما الآخر، فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه؛ فإنّ الله تبارك وتعالى حكمٌ عدلٌ يأخذ للمظلوم من الظالم»[(١)].

وللإيضاح لا يعني هذا الاستسلام والخنوع لحالات الظلم والاعتداء على الحقوق، المسألة هنا تتحرّك في دائرة القضايا الشخصيّة، أمّا الظلم الاجتماعيّ والظّلم السياسيّ فيجب على الناس أن يتصدّوا له ويواجهوه بالأساليب الممكنة والمشروعة، وإلّا كان في ذلك إغراءٌ للظلمة والعابثين بمقدّرات الناس، والمتلاعبين بالحقوق والكرامات.

- وفي الحديث: «أيّما مسلمَيْن تهاجرا فمكثا ثلاثًا لا يصطلحان إلّا كانا خارجَيْن من الإسلام ولم يكن بينهما ولاية فأيّهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنّة يوم الحساب»[(٢)].

ماذا يعني التهاجر؟

أن تتجمّد كلّ أشكال العلاقة بين الأخوين المؤمنَيْن، فلا يزور أحدهما الآخر، ولا يتكلّم أحدهما مع الآخر، ولا يسلّم عليه ولا يصافحه، ولا يعوده إذا مرض، ولا يشاركه في أفراحه وأحزانه، ولا يسأل عنه إذا غاب، ولا

---

(١) الكليني: الكافي ٢/ ٣٤٥، كتاب الإيمان والكفر ب ١٤١ (الهجرة)، ح١.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٤٦، ح ٥.







يتفقّد أوضاعه وأحواله وحاجاته.

وهنا أنبّه إلى مسألة وهي: إنّ المقاطعة قد تكون من أجل اللّه تعالى، إذا كانت تُعبّر عن إحدى صيغ المواجهة والتصدّي للواقع الفاسد والواقع المنحرف، وكانت الخيار الأفضل لتغيير وتصحيح هذا الواقع، وفي هذا الظّرف تتحوّل المقاطعة إلى مسؤوليّة شرعيّة في سياق الدّعوة إلى اللّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.










الفصل الثاني

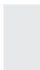
الخِصلتان الثالثة والرّابعة

- «يَسْتَكْثِرُ قليلَ الخيرِ مِنْ غَيرهِ»
- «ويَسْتَقِلُّ كَثيرَ الخَيرِ مِنْ نَفْسه»














الخِصلتان الثالثة والرابعة

(يَسْتَكْثِرُ قليلَ الخيرِ مِنْ غَيره،
ويَسْتَقِلُّ كَثيرَ الخَيرِ مِنْ نَفْسه)

الإيمان وتربية الذات

هذا الإنسان المسلم يفرض عليه عقله أن يُثمّن عطاء الآخرين مهما كان قليلاً، وأن يستقلّ عطاءه للآخرين مهما كان كبيرًا.

إنّها تربية الإيمان تصوغ النفس حتى لا تنزع إلى العجب والغرور والتعالي والكبرياء، ولا تستهين بأفعال الآخرين ما دامت تهدف إلى الخير، كما أنّها تربية الإيمان تدرّب الإنسان على (نقد الذّات) وتُعوِّد الإنسان على (النزاهة والموضوعيّة والإنصاف).

مشكلتنا أنّنا تعوّدنا أن ننقد الآخر، ولم نتعوّد أن ننقد أنفسنا، تعوّدنا أن ننقد الآخر الذي نختلف معه دينيًّا، مذهبيًّا، ثقافيًّا، وسياسيًّا، إلّا أنّنا لا نملك الجرأة في أن ننقد أنفسنا، أن ننقد ذاتنا، أن ننقد ممارساتنا.

مفارقاتٌ كبيرةٌ في حياة الكثيرين فيما هو (نقد الآخر) و(نقد الذّات):

١- الإفراط في نقد الآخر والتفريط في نقد الذّات:

يتجاوز البعض كلّ المعايير والموازين والقيم والضّوابط وهو يمارس نقده للآخرين، وأما في محاسبة نفسه، وفي نقد ذاته فمتهاونٌ كلّ







التهاون، ومقصرٌ كلّ التقصير، ومفرّطٌ كلّ التفريط، هكذا التناقض في سلوك الكثيرين.

٢- القسوة والشّدة في نقد الآخر، واللّين والاسترخاء في نقد الذّات:

حينما تغيب الموضوعيّة والنزاهة عند الإنسان يختلّ التوازن النفسيّ والسلوكيّ عنده فيعنف ويقسو عندما يحاسب غيره، بينما يلين ويسترخي وهو يقف أمام نفسه وأمام ذاته.

٣- بصيرٌ بعيوب الآخرين، أعمى عن عيوب نفسه:

كم من الناس يفتح عينيه بقوّةٍ يرصد عيوب الناس، يُفتِّش عن أخطاء الآخرين، يُلاحق كلّ الخفايا عند غيره، وأمّا مع عيوبه، مع أخطائه، مع خفايا نفسه وذاته فهو أعمى، مغلق العينين، على بصره غشاوة.

هل حاول أحدنا أن يفتح عينيه على واقعه أكثر ممّا يفتح عينيه على واقع الآخرين؟

ليس معنى هذا أنّ الإنسان ليس مسؤولاً عن أن يحاسب كلّ الواقع حوله، أن يرصد هذا الواقع، ولكنّه مسؤولٌ قبل ذلك عن أن يحاسب واقعه الخاص، أن يرصد ذاته، أن يُلاحق أخطاءه وعيوبه وتجاوزاته.

٤- سوء الظّن بما يصدر عن الآخرين، وحُسن الظّن بكلّ ما يصدُر عن الذّات:

ربّما أصاب الإنسان في حُسن ظنّه أو في سوء ظنّه، ولكن ما أكثر ما







يُخطئ، ثمّ لماذا يدفعه سوء الظّن في كثيرٍ من الأحيان إلى اتهام الآخرين، بينما لم يفكّر ولو لمرةٍ واحدةٍ أن يتّهم سلوكه، إنّه بذلك يظلم الآخرين ويظلم نفسه، فما أحوجنا إلى أن نُنصف الآخرين ونُنصف أنفسنا حتى لا نتمادى في الإثم والمعصية ونكون من الخاسرين.

وهنا نطرح هذا السؤال: كيف نمارس النّقد لأنفسنا؟

كيف نمارس النّقد الذّاتي؟

وقبل أن نُعالج هذا السؤال نحاول أن نتلمّس السبب الأساس لغياب (النّقد الذّاتي) عند غالبية الناس، إنّه (سيطرة الأنا وحبّ الذّات) إلى الحدّ الذي تتعطّل فيه (الإرادة) فلا يعود الإنسان قادرًا على نقد الذّات ومحاسبتها، ثمّ إنّ هذا السبب هو الذي يقبع وراء الكثير من السلوكيّات الخاطئة في حياتنا كالتكبّر، والاستعلاء، وحبّ الشهرة والجاه، والظلم، والاعتداء، والفتن والخلافات...

أسس النّقد الذّاتي:

لكي نؤسّس لحركة النّقد الذّاتي لا بدّ من معالجة مشكلة (الأنا) في داخل الإنسان، وتتمّ هذه المعالجة من خلال (الترشيد الروحيّ للنّزعة الذاتيّة)...

الأنا وحبّ الذات:

من المكوّنات الغريزيّة الفطريّة التي أودعها اللّه سبحانه في داخل الإنسان، فمن الطبيعي - وفق هذه الفطرة الإلهيّة - أن يحبّ الإنسان







ذاته، أن يحب لها البقاء، الراحة، اللّذة، الكمال، وحتى حبّ الأولاد هو تعبيرٌ عن حبّ الذات، فمن خلال الأولاد يتشكّل البقاء والامتداد للإنسان، لا مشكلة في كلّ هذا ما دام هو استجابةٌ لنداء الفطرة الإلهيّة...

المشكلة حينما تتحوّل هذه الغريزة (الأنا وحبّ الذّات) إلى (نزعة ضدّ الآخر)، وحينما تتحوّل إلى (أنانيّةٍ) لا تحبّ الخير إلّا إلى النفس...

كيف عالج الإسلام هذه المشكلة؟

عالجها من خلال (الترشيد الروحيّ للنزعة الذاتيّة) عند الإنسان، إنّ التربية الإسلاميّة لم تصادر هذه (الغريزة)؛ كونها جزءًا من الفطرة الإلهيّة...

فماذا صنعت التربية الإسلاميّة لمعالجة المشكلة؟

إنّها أعطت لهذه النزعة (الأنا وحبّ الذات) مضمونًا أخرويًّا، ومن خلال هذا المضمون تحوّل (حبّ الآخر) بما يحقّقه من عطاء أخرويّ كبيرٍ إلى (حبّ للذات)، فبحسب الأحاديث والروايات أنّ (النّفع لعباد اللّه) من أعظم الأعمال التي تقرّب الإنسان إلى اللّه زلفى، وتسكنه في أعلى الجنّة غرفًا، فالنتيجة أن (النّفع للآخر) يصبّ في مصلحة (النّفع للذات) إلّا أنّه نفعٌ أُخرويّ.

وكذلك - بحسب الأحاديث والروايات - فإنّ (الضّرر لعباد اللّه) من أشدّ الأعمال التي تُبعد الإنسان عن اللّه تعالى، وتعرّضه لغضبه وأقسى عقوباته فتكون النتيجة أنّ (الضّرر للآخر) يصبّ في (الإضرار بالذات) من خلال عذاب الآخرة.





ووفق هذه الرؤية الروحيّة يتمّ التوافق بين (الأنا) و(الآخر)، ربّما دفعت (روح الإيثار) الإنسان المسلم إلى أن يقدّم (الآخر) على (الذات).

- قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١).
- وعن رسول الله ﷺ قال: «من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنّة»(٢).
- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الإيثار أعلى الإيمان»(٣).
- في غزوة أُحد سقط نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيهم بقيّة حياة، فجيء لأحدهم بماءٍ ليشرب فأشار إلى آخر في جانبه، جيء بالماء إلى الثاني فأشار إلى ثالث، والثالث أشار إلى رابع... وهكذا إلى السابع، فلمّا جيء بالماء إلى السابع حوّله إلى الأول، جيء به إلى الأول فوجدوه ميّتًا، أتوا به إلى الثاني فإذا هو ميّت، وهكذا الثالث... إلى السابع، فما وجدوا واحدًا منهم حيًّا، هذه تربية الإيمان...

فإذا ارتقى الإنسان إلى هذا المستوى من التربيّة الإيمانيّة والروحيّة فلن تتحوّل (الأنا وحبّ الذات) في داخله إلى (نزعةٍ ضدّ الآخر)، ولن تتحوّل إلى (أنانيّةٍ) تحتكر الخير للنفس، وعندها سيقف الإنسان من ذاته (وقفة نقد) جريئة، ووقفة (استبطانٍ) صريحة، مادام ذلك يحقّق له (نفعًا أُخرويًا) ولن يتردّد لحظة واحدة في متابعة (أخطاء الذات)،

(١) الحشر: آية ٩.

(٢) النوري: مستدرك الوسائل ٧/٢٤٩، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، ب ٤٤، ح٤.

(٣) الواسطي: عيون الأحكام والمواعظ، ص ٥١.







وإلّا كان جانيًا على نفسه كلّ الجناية وهو يعرّضها لعقوبة اللّه تعالى، ويدفع بها إلى نار جهنم.

- قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِه﴾[١].
- وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾[٢].
- وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّه﴾[٣].
- وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٤].

---

(١) النساء: آية ١١١.
(٢) الطلاق: آية ١.
(٣) البقرة: آية ١١٠.
(٤) الإسراء: آية ٧.







مبدأ المحاسبة وممارسة نقديّة للذّات

نتناول هنا (مبدأ المحاسبة)، المبدأ الأخلاقيّ المهمّ في بناء النفس وصوغ الذات، فالمحاسبة جلسةٌ مع النفس، ووقفةٌ مع الذات يحاول الإنسان من خلالها أن يمارس (تقويمًا يوميًا) في موازنةٍ دقيقةٍ بين (الطاعات) و(المعاصي)...

وفي ضوء هذا التقويم وهذه الموازنة يصدر الإنسان حكمه العادل تجاه نفسه وذاته، فإن كان مقصّرًا مفرّطًا عاصيًا كان الحكم (اللوم والمعاتبة والتأنيب والتحذير من عقاب الله وغضبه وسخطه)، وإن كان ملتزمًا طائعًا قائمًا بالواجبات والتكاليف فالحكم (المدح والثناء والشكر الخالص لله سبحانه وتعالى وتبشير النفس بالثواب والعطاء والأجر الكبير).

- قال رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن تُوزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر»[١].

(**حاسبوا أنفسكم**): قفوا منها وقفةً جادةً صادقة، وقفة رصدٍ ومتابعة وملاحقة، خشية أن تنفلت وتتمرّد وتتيه في درب المعاصي والذّنوب، وتسقط في قبضة الهوى، وفي حبائل الشيطان العدو اللّدود للإنسان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٩٩، أبواب جهاد النفس، ب ٩٦، ح ٩.

(٢) يس: آية ٦٠ – ٦٢.







(حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا):

في هذه الدنيا تملكون الفرصة الكبيرة في أن تُعيدوا النظر في كلّ حساباتكم، وفي كلّ أوراقكم، وما إن يسكت القلب وتغمض العين - في أيّة لحظة - عندها لا ينفع النّدم، ولا تُجدي الحسرة.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

في هذه الدنيا - أيّها الإنسان - أنت المالك لكلّ أفعالك وأعمالك وتصرّفاتك، وأنت القادر أن تحاسبها، وأن تزنها، وأن تُقوِّمها، وغدًا - وأنت تقف بين يدي الله - تكون مرهونًا بكلّ ما صدر منك من أعمالٍ وأفعالٍ وتصرفات.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2].

- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا وإنّكم في يوم عملٍ لا حساب فيه، ويوشك أن تكونوا في يوم حسابٍ ليس فيه عمل»[3].
- وعنه صلى الله عليه وآله قال: «لا يكون الرجل من المتّقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلٍّ ذلك أم من حرام»[4].

---

(١) المؤمنون: آية ٩٩ — ١٠٠.

(٢) الزلزلة: الآيات ٦ - ٧ - ٨.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٧٤/ ١٨٨، أبواب المواعظ والحِكم، ب٧، ح ٣٩.

(٤) الريشهري: ميزان الحكمة ١/ ٦٢٠، حرف الحاء، الحساب، التشديد في محاسبة النفس.





- قال ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهّدوا لها قبل أن تُعذّبوا، وتزوّدوا للرحيل قبل أن تُزعجوا، فإنّها موقف عدل، واقتضاء حقّ، وسؤالٌ عن واجب، وقد أبلغ في الإعذار من تقدّم بالإنذار»(١).

- وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «... فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، فإنّ أمكنة القيامة خمسون موقفًا، كلّ موقف ألف سنة - ثمّ تلا هذه الآية - ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾»(٢).

- وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل خيرًا استزاد اللّه منه، وحمد اللّه عليه، وإن عمل شرًّا استغفر اللّه منه وتاب إليه»(٣).

- وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسب الرجل نفسه؟ قال عليه السلام: «إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه، وقال: يا نفس، إنّ هذا اليوم مضى عليكِ لا يعود إليكِ أبدًا، واللّه سائلكِ عنه فيما أفنيتِه؟

فما الذي عملتِ فيه؟

أذكَرْتِ اللّه أم حمدْتِيه؟

أقضيتِ حقّ أخٍ مؤمن؟

أنفّستِ عنه كربته؟

أحفظْتِيه بظهر الغيب في أهله وولده؟

أحفظْتِيه بعد الموت في مخلفيه؟

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧٤/ ١٨١، أبواب المواعظ والحِكم، ب٧، ح٢٢.

(٢) المفيد: الأمالي، ص ٣٢٩، المجلس ٣٩، ح ١.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٩٥، كتاب جهاد النفس، ب ٩٦، ح١.







أكففتِ عن غيبة أخٍ مؤمنٍ [بفضل جاهك]؟
وأعنتِ مسلمًا؟
ما الذي صنعتِ فيه؟

فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنّه جرى منه خيرًا حمد اللّه عزّ وجلّ وكبّره على توفيقه، وإن ذكر معصيةً أو تقصيرًا استغفر اللّه عزّ وجلّ وعزم على ترك معاودته...»[(١)].

ومن الواضح جدًا أنّ هذا (التقويم اليومي) الذي يعتمد المراقبة والمحاسبة هو (ممارسةٌ نقديّة للذات)، ومن أرقى أشكال (النقد الذاتي)، وبمقدار ما نلتزم بشروط المراقبة والمحاسبة نتوافر على (ممارسةٍ نقديّة للذات) أكثر نجاحًا، وليس أقدر من (تربية الدّين) على تحريك (عمليّة النقد الذاتي) في مساراتها الجادّة والهادفة والفاعلة، لأنّ هذه التربيّة الإيمانيّة ترتقي بدرجة (النقد الذاتي) إلى مستوى (التكليف الشرعيّ)، وإلى مستوى (الممارسة العباديّة).

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٩٨، كتاب جهاد النفس، ب ٩٦، ح٨.







الإرادة وحركة النّقد الذّاتي

ما هو دور (الإرادة) في داخلنا؟

يمكن أن نحدّد هذا الدور في الأبعاد الآتية:

١ - الإرادة هي أداة التّحريك للقدرات:

قد يملك أحدنا مجموعة قدرات علميّة أو ثقافيّة أو فنيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة، إلّا أنّ هذه القدرات تبقى راكدةً جامدةً في داخله لأنّه لا يملك «إرادةً فاعلةً قويّة» تُحرّك هذه القدرات، وهكذا يشكل العجز والقصور في الإرادة تعطيلًا وشللًا في قدرات الإنسان وإمكاناته وكفاءاته ومواهبه ومهاراته.

وحتى نُعطي لهذه القدرات والإمكانات والمواهب حركتها الفاعلة لابدّ من تنشيط هذه (الإرادة) في داخلنا، أمّا كيف نُنشط هذه الإرادة فذلك يأتي في سياق هذا الحديث.

٢ - الإرادة أداة التفعيل للأفكار والرؤى والقناعات وأداة التعبير عن المواقف:

قد نحمل في أذهاننا أفكارًا ورؤىً وتصورات تُشكّل قناعاتنا الدينيّة أو الثقافيّة أو الاجتماعيّة أو السياسيّة، إلّا أنّنا لا نملك القدرة على إبراز هذه (القناعات)، قد يكون السبب في ذلك ظروفًا موضوعيّة فرضت علينا أن نسجن القناعات في داخلنا، كما هي ظروف التقيّة العقيديّة أو التقيّة الاجتماعيّة أو التقيّة السياسيّة، هنا إذا كانت المبرّرات الشرعيّة







للتقيّة قائمة فيُعذر الإنسان حينما يُبقي قناعاته مسجونة في داخله.

وربّما لا يكون السبب ذلك، وإنّما هو (ضعف الإرادة)، الأمر الذي يُصادر الجرأة عنده فلا يقوى على أن يجهر بأفكاره ورؤاه وقناعاته.

وكم عطّل هذا الضعف الكثير من المفاهيم والآراء النافعة والمنتجة والفاعلة...

وكم عطّل هذا الضعف الكثير من المواقف التي تفرضها المسؤوليّة الدينيّة أو المسؤوليّة الثقافيّة أو الاجتماعيّة أو السياسيّة، مع التنبيه إلى أنّ هذه المسؤوليّات في المنظور الإسلاميّ متداخلة...

فأحد الأسباب المهمّة لغياب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هو (ضعف الإرادة الإيمانيّة)، هذا الضّعف الذي يجعل الإنسان يُفرّط في فريضةٍ من أعظم الفرائض:

- قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].
- قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٢].
- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[٣].
- جاء عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية: «كانوا ثلاثة

(١) آل عمران: آية ١٠٤.

(٢) آل عمران: آية ١١٠.

(٣) الأعراف: آية ١٦٥.





أصناف: صنفٌ ائتمروا وأمروا فنجوا، وصنفٌ ائتمروا ولم يأمروا فمُسخوا ذرًّا وصنفٌ لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا»[١].

- قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٢].

انقسم النّاس في هذه القرية إلى ثلاث فرق:

أ- فرقة خالفت النّهي ومارست الصيد...

وكيف مارسوا الصيد هنا ثلاثة أقوال:

- ألقوا شباك الصيد يوم السبت ليقع فيها السّمك ثمّ لا يخرجون الشباك إلّا يوم الأحد.
- اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الأسماك إليها ولا يمكنها الخروج منها، فيأخذونها يوم الأحد.
- إنّهم اصطادوها في يوم السبت...

ب- فرقة ساكتة بقيت متفرّجة لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر بل مارست دور التثبيط والتخدير.

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٤٩، كتاب الأمر والنهي، أبواب الأمر والنهي، ب ١٠، ح ١.
(٢) الأعراف: آية ١٦٣- ١٦٦.







ج- فرقة واعظة مارست دورها في النّهي والتحذير من مخالفة أمر الله تعالى.

فأيّ هذه الفرق نجت وأيّها هلكت؟

الرواية السابقة التي ذكرناها عن الإمام الباقر عليه السلام صنّفت أهل القرية إلى ثلاثة أصناف:

١. الناجون وهم الذين ائتمروا وأمروا...

٢. الهالكون وهم الذين لم يأتمروا ولم يأمروا...

٣. الممسوخون وهم الذين ائتمروا ولم يأمروا...

وهناك أقوالٌ أخرى:

- نجت الفرقتان وهلكت الثالثة.
- هلكت الفرقتان ونجت الناهية.
- نجت الناهية، وهلكت العاصية، وأما الثالثة فمسكوت عنها...

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعبّر عن وجود إرادةٍ إيمانيّة صادقةٍ في داخل الإنسان، وأما الصّمت والمداهنة فيعبّران عن غياب هذه الإرادة أو ضعفها...

- ورد في حديثٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر»[1].
- جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أخبرني ما أفضل الإسلام؟،

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٢٢، كتاب الأمر والنهي، أبواب الأمر والنهي، ب ١، ح ١٣.







فقالﷺ: «الإيمان بالله» قال: ثمّ ماذا؟، قال ﷺ: «صلة الرّحم» قال: ثمّ ماذا؟، قالﷺ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

- وعنهﷺ قال: «إنّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنّه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتّق الله ودع ما تصنع فإنّه لا يحلّ لك، ثمّ يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلمّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثمّ قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[٢]»[٣].

- وعنهﷺ قال: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا؟...»[٤].

النبيّ الأعظمﷺ يستشرف ما يحدث للأمّة من انحرافٍ وضياعٍ وابتعادٍ عن قيم الدّين، فشباب الأمّة يفسقون، ونساء الأمّة يفسدون.

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٢١، ح ١١.

(٢) المائدة: الآيتان ٧٨ -٧٩.

(٣) الريشهري: ميزان الحكمة ٣/ ١٩٤٦، حرف الميم، المعروف، خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٢٢، كتاب الأمر والنهي، أبواب الأمر والنهي، ب ١، ح ١٢.







انظروا إلى واقع التسيّب والفساد والضياع الذي يعيشه الكثير من شباب وشابات هذه الأمّة في هذا العصر...

لم يعد هذا الانحراف والفساد مجرّد ممارسات فرديّة، وإنّما تحوّل إلى مشروعاتٍ تغريبيّة خطيرة، هذه المشروعات تُخطّط لها قوىً عالميّة تستهدف مسخَ هويّة هذه الأمّة، ومسخ أخلاق هذه الأمّة، كما يُنفّذها في داخل مجتمعات المسلمين سياسة الأنظمة الحاكمة، ومؤسّسات وجمعيّات، وقوىً متحرّكة تحمل شعارات خادعة وكاذبة، ومعتمدة شتّى الوسائل (مناهج تعليم، برامج تلفزيونيّة وإذاعيّة، مهرجانات فنيّة وثقافيّة وسياحيّة، كتب، مجلات، انترنت، صالات لهو وعبث، ترويجٌ للدعارة، محلات بيع الخمور) وشباب وشابّات الأمّة هم الضحيّة.

(وتركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

وهنا تأخذ المظاهر الإنحرافيّة تتجذّر في واقع الأمّة، وهنا يأخذ الفساد مساره الواسع ويزداد أعداد الفُسّاق والفاسدين..

وذلك لأنّنا صمتنا وسكتنا، وداهنّا، وتركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[1].
- عن أبي جعفر عليه السلام - في حديثٍ - قال: «أوحى الله إلى شعيب النبيّ عليه السلام: أنّي معذبٌ من قومك مائة ألفٍ: أربعين ألفًا من شرارهم،

(١) المائدة: آية ٧٨.







وستين ألفًا من خيارهم، فقال عليه السلام: يا ربِّ هؤلاء الأشـرار، فمـا بال الأخيار؟ فأوحى الله عـزّ وجلّ إليه : داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»(١).

- قال تعالى :﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢).

هكذا تُصاب المجتمعات بالدّمار الأخلاقي وبالفساد والعبث والتغريب.

قالوا: أوَ يكون ذلك يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: «نعم و شرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف».

وهنا تكون الأمّة قد وصلت إلى مرحلة أخطر، المساهمة في نشر الظواهر الإنحرافيّة ومحاربة الظواهر الخيّرة.

قالوا: أو يكون ذلك يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: «نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا».

وهذه أخطر المراحل التي تصل إليها الأمّة (انقلاب المفاهيم والمعايير)، فإذا انقلبت المفاهيم والمعايير أدّى ذلك إلى(المسخ لهوية الأمّة والمصادرة لأصالتها، والعبث بكلّ قِيَمها) وهنا تُسيّطر المفاهيم والقيم والمعايير الدّخيلة المنافية للإسلام والدّين والقرآن.

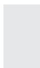
---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٤٦، كتاب الأمر والنهي، أبواب الأمر والنهي، ب٨، ح١.

(٢) الأنفال: آية ٢٥.












ترويض النّفس على الصبر والثّبات والاستقامة

في سياق الحديث عن محاسبة النفس وبناء الذّات تأتي مسألة (الترويض) كضرورة من أجل الحفاظ على الصبر والثبات والاستقامة في خطّ الطاعة وفي الخطوط الأخرى التي تحتاج إلى الإرادة الصُّلبة والموقف الصامد.

فما أكثر ما ينهزم الإنسان حينما تضعف إرادته، وحينما يفقد قدرته على الصبر والثبات والاستقامة.

فما أحوج الإنسان المؤمن إلى ترويض الإرادة وتصليب القدرة بشكلٍ دائمٍ ومستمرٍ حتى يتمكّن من أن يؤدّي مسؤوليّاته بنجاح.

ولكي نعطي الفكرة وضوحًا أكثر نتناول المجالات التالية:

المجال الأول: الصبر والثّبات في خطّ الطّاعة:

الطاعة بما تحمله من صعوبةٍ ومشقّة تفرض الحاجة إلى الصبر والثّبات، وكم من الناس من ترك طاعة الله تعالى لأنّه لا يملك إرادة الصبر والثّبات، وكم من الناس من تخلّى عن أداء الفرائض والواجبات لأنّه فاقد الإرادة على الصبر والثبات، وكم من الناس لا يمارس المستحبّات والمندوبات لأنّها تكلّفه عناءً ومشقة... فالإنسان بحاجةٍ إلى صبرٍ وثبات وصمودٍ في خطّ الطاعة والالتزام والانقياد لأوامر الله تعالى.

وإذا أردنا أن نستعين ببعض أمثلةٍ من واجباتٍ أو مستحبّات، نذكر ما يلي:







١- صلاة الفريضة:

النّاس في التعاطي مع فريضة الصّلاة على أصناف:

أ. صنف متهاونٌ بأداء الصّلاة:

وهذا الصّنف أمره خطير، وعاقبته إن مات على هذا إلى عذابٍ وسعير.

- قال اللّه تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [(١)].

ب. صنفٌ متهاونٌ بأوقات الصّلاة:

وهذا مرتكبٌ لمخالفةٍ شرعيّةٍ تعرّضه لغضب اللّه تعالى وعقوباته إن بقي مصرًا على ذلك.

- عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «لا يزال الشيطان هائبًا لابن آدم، ذعِرًا منه ما صلّى الصّلوات الخمس لوقتهنّ، فإذا ضيّعهنّ اجترأ عليه فأدخله في العظائم»[(٢)].
- وعنه صلى الله عليه وآله قال: «لا ينال شفاعتي غدًا من أخّر الصّلاة المفروضة بعد وقتها»[(٣)]، [يعني متعمّدًا وبلا عذر].

---

(١) المدثر: آية ٣٨ – ٤٨

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة: ج ٤/ ١١١، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، ب١، ح ١٢.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ١٠٧، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، ب١، ح١٣.







ج. صنفٌ متهاونٌ بأفعال الصّلاة:

- قال الإمام الباقر عليه السلام: «دخل رجلٌ مسجدًا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فخفّف سجوده دون ما ينبغي، ودون ما يكون من السّجود، فقال صلى الله عليه وآله: نقرٌ كنقر الغراب، لو مات هذا مات على غير دين محمد»[١].
- وعنه صلى الله عليه وآله قال عند موته: «ليس منّي من استخفّ بصلاته، ليس منّي من شرب مسكرًا، لا يَرِد عليّ الحوض لا والله...»[٢].

د- صنفٌ يصلّي متثاقلًا:

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾[٣].
- قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٤].

هـ- صنفٌ يُصلّي صلاة الغافلين:

- قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٥].
- في الحديث: «لا ينظر الله إلى صلاةٍ لا يُحضِر الرجل فيها قلبه مع بدنه»[٦].
- عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ العبد ليُرفع له من صلاته نصفها أو

---

(١) الصدوق: الأمالي، ص ٥٧١، المجلس ٧٣، ح٨.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٣/ ٢٣، كتاب الصلاة، أبواب أعداد الفرائض، ب٦، ح ١.

(٣) النساء: آية ١٤٢.

(٤) البقرة: آية ٤٥.

(٥) الماعون: آية ٤- ٥.

(٦) النراقي: جامع السعادات ٣/ ٢٦٢، حضور القلب.





ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه، وإنّما أمرنا بالنافلة ليتمّ لهم بها ما نقصوا من الفريضة»[١].

و- صنفٌ يصلّي صلاة الخاشعين:

- قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٢].
- وعن رسول اللّه ﷺ قال: «إذا صلّيت صلاة فريضة، فصلّ لوقتها صلاة مودّعٍ يخاف ألّا يعود فيها أبدًا»[٣].
- وعنه ﷺ قال: «من صلّى ركعتين ولم يحدّث فيهما نفسه بشيءٍ من أمور الدّنيا غفر اللّه له ذنوبه»[٤].
- وسُئل بعض الأكابر عن صلاته فقال: «إذا جاءت الصّلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أُريد الصّلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثمّ أقوم للصّلاة فأجعل الكعبة بين حاجبيّ، والصّراط تحت قدمي، والجنّة عن يميني، والنّار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنّها آخر صلاتي، ثمّ أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبّر تكبيرًا بتحنّن، وأقرأ القرآن بترتيل، وأركع ركوعًا بتواضع، وأسجد سجودًا بتخشّع، وأقعد على الورك اليسرى، وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها الإخلاص، ثمّ لا أدري

---

(١) الكليني: الكافي ٣/ ٣٦٤، كتاب الصلاة، ب ٤٤ (ما يقبل من صلاة الساهي)، ح٢.
(٢) المؤمنون: آية ١ – ٢.
(٣) الصدوق: الأمالي، ص ٣٢٩، المجلس ٤٤، ح١٢.
(٤) الريشهري: الصلاة في الكتاب والسّنة، ص ٨١، ح٢١٠.







أقُبلت منّي أم لا...؟»[١]..

هكذا تتعدّد مراتب المصلّين، وإنّ لدرجة الإيمان ودرجة الإخلاص، ودرجة البصيرة، ودرجة الإرادة، ودرجة الصبر، الأثر الكبير في تحديد مرتبة الصّلاة ومرتبة المصلّين.

فمن الضروري أن نروّض أنفسنا على الصّلاة، وعلى آداب الصّلاة، وعلى توفّر الخشوع وحضور القلب في الصّلاة، وعلى محاسبة الصّلاة.

٢- صلاة الليل:

صلاةٌ مندوبةٌ مؤكّدة تحدّثت عنها آيات القرآن وتواترت في الحثّ عليها روايات السّنة الصادرة عن رسول الله ﷺ وعن الأئمّة من أهل بيته عليهم السلام، وعلى رغم ما لهذه الصّلاة من العظمة والمكانة والثواب الكبير فإنّ الكثيرين من الناس محرومون من الاستفادة من فيوضاتها الربّانيّة المباركة بسبب الذنوب والمعاصي، أو بسبب الإهمال والتهاون، أو بسبب الضعف والاسترخاء.

وممّا يؤكد أنّ للذنوب أثرًا في الحرمان من صلاة الليل ما جاء في بعض الروايات:

- جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «إنّي قد حرمت الصّلاة بالليل؟، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت رجل قد قيدتك ذنوبك»[٢].

(١) النراقي: جامع السعادات ٣/ ٣٢٩، المقام الرابع، فصل حضور القلب.
(٢) الكليني: الكافي ٣/ ٤٤٨، كتاب الصلاة، ب ٨٤ (صلاة النوافل)، ح٣٤.





- وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «اتّقوا الذّنوب فإنّها مُمحقة للخيرات، إنّ العبد ليُذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه، وإنّ العبد ليذنب الذنب فيمتنع به من قيام الليل، وإنّ العبد ليذنب الذنب فيُحرم به الرّزق وقد كان هينًا له، ثمّ تلا هذه ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[١]»[٢].
- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل، فإذا حرم صلاة الليل حرم بها الرزق»[٣].

فما أسعد الإنسان حينما يحظى بشرف اللقاء مع اللّه تعالى في جوف الليل، وقد أثنى اللّه على عبّاد الليل والمتهجّدين بالأسحار:

- قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].
- قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٥].
- قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[٦]

---

(١) القلم: آية ١٧.

(٢) ابن فهد الحلي: عدة الداعي، ص ١٩٧، في الآداب المتأخرة عن الدعاء.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٨/ ١٦٠، كتاب الصلاة، أبواب بقيّة الصلوات المندوبة، ب ٤٠، ح ٣.

(٤) السجدة: الآيتان ١٦ – ١٧.

(٥) الذاريات: آية ١٧.

(٦) الزمر: آية ٩.







- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[١].
- قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٢].

فما أشقى الإنسان الذي يقوده هوى أو ضعف أو استرخاء أو تهاون أو تفريط فيكون محرومًا من صلاة الليل ومن بركاتها الكبيرة.

- وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنّعاس في عينيه ليُرضي ربّه بصلاة ليله باهى اللّه به الملائكة، وقال: أما ترون عبدي هذا قد قام من لذيذ مضجعه لصلاةٍ لم أفرضها عليه، اشهدوا أنّي قد غفرت له»[٣].
- وعنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير، خيرٌ له من الدنيا وما فيها، ولولا أنّي أشقّ على أمّتي لفرضتها عليهم»[٤].
- ورُوي عن الصّادق عليه السلام، قال: « قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله : صلاة الليل مرضاة الربّ، وحبّ الملائكة، وسنّة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وراحة الأبدان، وكراهية الشيطان، وسلاحٌ على الأعداء، وإجابةٌ للدعاء، وقبولُ الأعمال، وبركةٌ في الرزق، وشفيعٌ بين صاحبها وبين ملك الموت وسراجٌ في قبره،

---

(١) الفرقان: آية ٦٤.

(٢) الإسراء: آية ٧٩.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٨/١٥٧، كتاب الصلاة، أبواب بقيّة الصلوات المندوبة، ب٥٧، ح٣٦.

(٤) الطبرسي: تفسير مجمع البيان ج٢/ ٣٦٨، في ذيل الآية ١١٤ من سورة آل عمران.





وفراشٌ تحت جنبه، وجوابٌ مع منكرٍ ونكير، ومؤنسٌ وزائرٌ في قبره إلى يوم القيامة»[١].

- وعن النوفلي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إنّ العبد ليقوم في الليل فيميل به النّعاس يمينًا وشمالًا وقد وقع ذقنه على صدره فيأمر اللّه تعالى أبواب السّماء فتفتح، ثمّ يقول للملائكة: انظروا إلى عبدي ما يُصيبه في التقرّب إليّ بما لم أفترض عليه راجيًا منّي لثلاث خصال: ذنبًا أغفره له، أو توبةً أجدّدها له، أو رزقًا أزيد فيه، اشهدوا ملائكتي أنّي قد جمعتهنّ له»[٢].
- وأوحى اللّه إلى موسى عليه السلام: «قم في ظلمة الليل، أجعل قبرك روضة من رياض الجنان»[٣].
- وعن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : صلاة الليل تُحسِّن الوجه وتُحسِّن الخلق، وتُطيِّب الريح، وتدرّ الرزق، وتقضي الدّين، وتذهب بالهمّ وتجلو البصر»[٤].
- عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «عليكم بصلاة الليل فإنّها سنّة نبيكم، ودأب الصالحين قبلكم، ومطردة الداء عن أجسادكم»[٥].
- وعنه عليه السلام قال: «من قال في وتره إذا أوتر: أستغفر اللّه ربي وأتوب إليه سبعين مرّة، وواظب على ذلك حتى تمضي سنة كتبه اللّه عنده

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار٨٤/ ١٦١، أبواب النوافل اليومية، ب ٦، ح ٥٢.
(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٨/ ١٥١، كتاب الصّلاة، أبواب بقيّة النوافل اليومية، ب٣٩، ح ١٦.
(٣) المجلسي: بحار الأنوار٨٤/ ١٥٥، أبواب النوافل اليومية، ب ٦، ح ٣٨.
(٤) المصدر نفسه: ص ١٥٣، ح ٣١.
(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٨/ ١٤٩، كتاب الصّلاة، أبواب بقيّة النوافل اليومية، ب٣٩، ح١٠.







من المستغفرين بالأسحار، ووجبت له المغفرة من الله عزّ وجلّ»[١].

- وقال رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا تخلّى بسيّده في جوف الليل المظلم وناجاه، أثبت الله النّور في قلبه، فإذا قال: يا ربّ يا ربّ، ناداه الجليل جلّ جلاله: لبّيك عبدي سلني أُعطِك، وتوكّل عليّ أكفِك، ثمّ يقول جلّ جلاله لملائكته: ملائكتي انظروا إلى عبدي فقد تخلّى بي في جوف الليل المظلم والبطّالون لاهون والغافلون نيام، اشهدوا أنّي قد غفرت له»[٢].

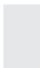
---

(١) المصدر نفسه: ٦/ ٢٧٩، كتاب الصلاة، أبواب القنوت، ب ١٠، ح ٢ - ٣.

(٢) النوري: مستدرك الوسائل ٦/ ٢٣٩، كتاب الصلاة، أبواب بقيّة الصلوات المندوبة، ب٣٣، ح٣٣.












كيف نُنشِّط الإرادة الفاعلة في داخلنا؟

يجب أن نبدأ من الداخل، إنّ تنشيط الإرادة في داخلنا هو المنطلق، إنّ المثيرات الخارجيّة دورها مؤقّت إذا لم تتشكّل الحوافز الداخليّة، من خلال هذه الحوافز الداخليّة تقوى الإرادة، تتحرّك الإرادة، تكون إرادةً فاعلة، وأمّا إذا غابت الحوافز الداخليّة فإنّ الإرادة تضعف، تتبلّد، تكون إرادةً راكدة.

ما هي الوسائل لتنشيط الإرادة؟

أتناول بعض الوسائل:

الوسيلة الأولى: أن نُخلِّص الإرادة من كلّ الضواغط التي تأسرها (التحرّر من المؤثّرات الضاغطة):

هناك أمور تضغط على الإرادة، تأسرها، تشلّ حركتها، من هذه الأمور:

(١) الأكل الحرام:

ومن آثاره:

- اسوداد القلب وتلوّثه: وهذا يؤدّي إلى الإصابة بـ (الشَّلل الرُّوحي)، وكم للشَّلل الرُّوحي من نتائج مدمّرة.
- ضعف الإرادة الإيمانيّة: وهذا يؤدّي إلى تعطيل القدرات والطّاقات والمواقف.





- الكسل العبادي: وهـذا يؤدّي إلى الفتور والاسترخاء في ممارسة العبادة والطّاعة.
- عدم استجابة الدّعاء وعدم قبول الأعمال.

ونقرأ في الرّوايات:

- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «ترك لقمة الحرام أحبّ إلى اللّه من صلاة ألفي ركعة تطوّعًا»(١) .
- قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنّ للّه ملكًا ينادي على بيت المقدس كلّ ليلة: ومن أكل حرامًا لم يقبل اللّه منه صرفًا ولا عدلًا» (٢) .
- وعنه صلى الله عليه وآله: «إذا وقعت اللّقمة من حرامٍ في جوف العبد لعنه كلّ ملكٍ في السّماوات والأرض»(٣) .
- وقال صلى الله عليه وآله: «من أكل لقمة حرام لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة، ولم تستجب له دعوة أربعين صباحًا، وكلّ لحم ينبته الحرام فالنّار أولى به، وإنّ اللقمة الواحدة تُنبت اللّحم»(٤) .
- وقال صلى الله عليه وآله «العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرّمل»(٥).
- وقال صلى الله عليه وآله: «من أحبّ أن يُستجاب دعاؤه فليُطيّب مطعمه ومكسبه»(٦) .

---

(١) ابن فهد الحلّي: عدّة الدّاعي، ص ٨٢١.

(٢) المصدر نفسه: ص ٠٤١.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٣٦/ ٤١٣، أبواب آداب الأكل، ب٢، ح٦.

(٤) المصدر نفسه: ح٧.

(٥) المصدر نفسه: ٠٠١/ ٦١، كتاب العقود والإيقاعات ، أبواب المكاسب، ب١، ح٣٧

(٦) ابن فهد الحلّي: عدّة الدّاعي، ص ٨٢١







(٢) إرتكاب المعاصي والذنوب:

- جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «إنّي قد حرمت الصّلاة بالليل؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك»[١].

فالذنوب من أكبر الضّواغط على الإرادة..

وكيف تضغط الذّنوب على الإرادة؟

الذنوب تسبّب (قسوة القلب)، وهذه القسوة تسبّب (الفتور الروحيّ) وهو بدوره يؤدّي إلى الشّلل والجمود...

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما جفّت الدّموع إلّا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلّا لكثرة الذّنوب»[٢].
- قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣].
- جاء في بعض الروايات: إنّ في القلب نكتة بيضاء، فإذا أذنب الإنسان ظهرت نكتة سوداء في تلك النكتة البيضاء، فإذا تاب الإنسان انمحت تلك النكتة السوداء وبقي القلب في صفائه ونقائه وبياضه، وإذا تمادى في المعصية اتّسعت النكتة السوداء، ثمّ تأخذ في الاتساع إلى أن تغطّي القلب، فيصبح القلب مظلمًا قاسيًا جامدًا، وهذا هو (الرّين) وإذا أُصيب القلب بالرّين والجمود والقسوة لم يعد يُبصر الهدى، ومات في داخله نبض الخير والصلاح والتقوى.

---

(١) الكليني: الكافي ٣/ ٤٤٨، كتاب الصلاة، ب ٨٤ (صلاة النوافل)، ح٣٤.
(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٤٥، كتاب جهاد النفس، أبواب جهاد النفس، ب ٧٦، ح ٥.
(٣) المطففين:آية ١٤.







(٣) الإسراف في الأكل:

- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إيّاكم والبطنة فإنّها مقساة للقلب، مكسلة عن الصّلاة»(١).
- وجاء في وصايا لقمان: «إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة وخرست الحكمة وتراخت الأعضاء عن العبادة»(٢).
- وجاء عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «كثرة النوم تتولّد من كثرة الشرب ، وكثرة الشّرب تتولّد من كثرة الشّبع، وهما يثقلان النّفس عن الطاعة ، ويقسيان القلب عن التفكّر والخشوع»(٣).

الوسيلة الثانية: تقوية الحوافز الإيمانيّة داخل النفس:

إنّ فاعليّة الإرادة وركودها مرتبطان بقوّة الحوافز الإيمانيّة وضعفها...

ماذا نعني بالحوافز الإيمانيّة؟

أهمّ الحوافز الإيمانيّة: الخوف من الله تعالى، الشّوق إلى ثواب الله تعالى، الحياء من الله، الحبّ لله تعالى...

وقد أكّدت هذه الحوافز الإيمانيّة آياتٌ كثيرةٌ وروايات متضافرة:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾(٤).

---

(١) الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص ١٠١.
(٢) النراقي: جامع السعادات ٢/ ٥، المقام الثالث، الشره.
(٣) النوري: مستدرك الوسائل ٥/ ١٢٤، كتاب الصلاة، أبواب التعقيب، ب ٣٥، ح٦.
(٤) البقرة: آية ١٦٥.





- قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾(١).
- قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢).
- قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾(٣).
- عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفًا كأنّه يشرف على النّار، ويرجوه رجاءً كأنّه من أهل الجنّة»(٤).
- وفي الحديث: «لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون خائفًا راجيًا ولا يكون خائفًا راجيًا حتى يكون عاملًا لما يخاف ويرجو»(٥).
- وعن الإمام علي عليه السلام قال: «الحياء من الله يمحو كثيرًا من الخطايا»(٦).
- وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم»(٧).
- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ليستحِ أحدكم من ملكيه اللذين معه، كما يستحي من رجلين صالحين من جيرانه، وهما معه بالليل والنهار»(٨).

---

(١) المائدة: آية ٥٤.
(٢) السجدة: آية ١٦.
(٣) الزمر: آية ١٠٢.
(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٥/ ٢٣٠، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، ب١٦، ح ٥.
(٥) الكليني: الكافي ٢/ ٧٥، كتاب الإيمان والكفر، ب ٣٣ (الخوف والرجاء)، ح١١.
(٦) الريشهري: ميزان الحكمة ١/ ٧١٩، حرف الحاء، الحياء، الاستحياء من الله.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه.







- ورُوي أن نبيّ اللّه عيسى عليه السلام مـرّ بثـلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم، فقال لهـم: مـا الـذي بلغ بكـم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النّار... فقال عليه السلام: حقٌّ على اللّه أن يؤمن الخائف... ثمّ جـاوزهم إلى ثلاثةٍ آخرين، فإذا هـم أشدّ نحولًا وتغيّرًا، فقـال لهم: مـا الذي بلغ بكم مـا أرى؟، فـقالوا: الشوق إلى الجنّة، فقال عليه السلام: حقٌّ على اللّه أن يعطيكم مـا ترجون، ثمّ جاوزهم إلى ثلاثةٍ آخرين، فـإذا هم أشدّ نحولًا وتغيّرًا، كأنّ على وجوهم المرايا من النّور، فقال لهـم: مـا الذي بلغ بكم ما أرى؟، فقالوا: حبّ اللّه - عزّ وجلّ، فقال عليه السلام: أنتم المقرّبون..[١].
- وعنه عليه السلام: «لمّا أراد اللّه تبـارك وتعـالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط إليه ملك الموت، فقـال: السّلام عليك يا إبراهيم، قال: وعليك السّلام يا ملك الموت أداع أم ناع؟ قال: بـل داعٍ يا إبراهيم فأجب! قال إبراهيم عليه السلام: فهل رأيت خليلًا يُميت خليلَه؟، فقال اللّه جلّ جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيبًا يكره لقاء حبيبه؟ إنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه. وفي خبر: فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض»[٢].
- وعنه عليه السلام حينما ضربه ابن ملجـم بالسيف في محـراب الصّلاة: «فزت وربّ الكعبة».

وأيّ فوزٍ أكبر من أن يلتقي عليّ عليه السلام بالمعشوق الأكبر، بالمحبوب الأكبر، باللّه سبحانه وتعالى..

---

(١) المصدر نفسه: ٣/ ٢٥٣٩، حرف القاف، المقربون، عبادة المقربين.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٢٧٩٨، حرف اللام، اللقاء، من أحبّ لقاء اللّه.







وعلي عليه السلام هو القائل في دعاء كميل: «فَهَبْني يا إلهي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ وَرَبّي صَبَرْتُ عَلى عَذابِكَ فَكَيْفَ اَصْبِرُ عَلى فِراقِكَ، وَهَبْني يا إلهي صَبَرْتُ عَلى حَرِّ نارِكَ فَكَيْفَ اَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ اِلى كَرامَتِكَ ...»[١].

(١) مفاتيح الجنان: الفصل السادس، في ذِكر نبذٍ مِن الدّعواتِ المَشهورة، دُعَاء كُميل بن زياد (رحمه الله)
















الفصل الثالث

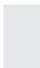
الخِصلة الخامسة

• «لا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الحَوائِجِ إليه»














الخِصلة الخامسة

(لا يَسأَمُ من طَلَبِ الحَوائِجِ إِلَيْه)

من الخصال المهمّة جدًا التي تُميّز الإنسان المسلم، أنّه يملك (استعدادًا نفسيًّا) كبيرًا ينفتح به على (هموم الناس وحاجاتهم)؛ فتراه دائمًا قد استنفر جهده وطاقاته، وإمكاناته وقدراته في خدمة الناس، وفي تخفيف آلام المحرومين، وفي السعي لقضاء حوائج المثقلين.

لا يسأم ولا يملّ، ولا يتوانى ولا يتكاسل، متى جاءه طالب حاجة، أو مثقلٌ بدين، أو مأزومٌ أو محرومٌ أو بائسٌ أو حائرٌ يبحث عن طريق الخلاص.

بل تراه يُبادر ويسعى ويتحرّك ويُفتّش عن الحاجات هنا وهناك، فما أكثر أولئك المغمورين الذين يمنعهم حياءٌ أو عفّة، أو سمعةٌ أو مكانةٌ من أن يبوحوا بحاجاتهم، وأن يجهروا بهمومهم، وأن يتحدّثوا بأزماتهم.

فالمسلم المشغوف بحبّ الخير، وبالسعي في قضاء الحوائج، وبالأنس في تفريج الهموم، وتخفيف الآلام، هذا المسلم معروفٌ بالمبادرة، لا ينتظر أن يطرق بابَه أصحاب الحاجات، بل هو السّاعي ليطرق أبواب المحتاجين، وهو السّاعي ليبذل ما لديه من خدمات وقدرات، وهو الساعي ليبحث عن مواقع البذل والعطاء...

هذا المستوى يعبّر عن درجةٍ متقدّمة من الإيمان، والثّقة بما عند اللّه تعالى، والبصيرة الكبيرة بقيمة (العمل) في خدمة الناس، وقضاء







الحوائج، وإزالة الكربات، وبذلِ المعونات، وإنقاذ البؤساء وإغاثة المحرومين... فما أعظمه من عملٍ، وما أجلّه من سعي.

وفي التأكيد على هذا وردت رواياتٌ كثيرةٌ قد بلغت حدّ التواتر، نذكر هنا بعضًا منها:

- من كلمات رسول الله ﷺ أنّه قال: «من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله»(١).
- وعنه ﷺ: «من قضى لمؤمنٍ حاجةً قضى الله له حوائج كثيرة أدناها الجنّة»(٢).
- وعنه ﷺ: «من قضى لأخيه المؤمن حاجةً كان كمن عبد الله دهرًا»(٣)
- وعنه ﷺ: «من مشى في حاجةِ أخيه ساعةً من ليلٍ أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرًا من اعتكاف شهرين»(٤).
- وعنه ﷺ: «من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلًا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»(٥).

كم هي كبيرةٌ ومهمّةٌ جدًا دلالة هذا الحديث، إنّه يضع كلّ واحد من المسلمين أمام مسؤوليّته في أن ينفتح على قضايا المسلمين في كلّ بقاع الأرض، أن يعيش همومهم، آلامهم، عذاباتهم، حاجاتهم، أزماتهم الاجتماعيّة، الثقافيّة، الاقتصاديّة، السياسيّة، وكلّ أمورهم وأوضاعهم

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمّال ٦/ ٤٤٥، قضاء الحوائج، ح ١٦٤٦٦.
(٢) الريشهري: ميزان الحكمة ١/ ٧٠١، حرف الحاء، الحاجة، قضاء حاجة المؤمن.
(٣) النوري: مستدرك الوسائل ٥/ ٢٤٢، كتاب الصلاة، أبواب الدعاء، ب ٣٩، ح١.
(٤) النراقي: جامع السعادات ٢/ ٢٣٠، المقام الرابع، قضاء حوائج المسلمين.
(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٣٣٧، كتاب الأمر والنهي، أبواب فعل المعروف، ب ١٨، ح ٣.





وشؤونهم... وحينما يتخلّى عن هذه المسؤوليّة وعن هذا الانفتاح يفقد معنى الانتماء إلى الإسلام وإلى المسلمين.

- ومن كلمات الأئمّة الطاهرين عليهم السلام في قضاء الحوائج ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: «من سعى في حاجة أخيه المسلم، طلب وجه اللّه، كتب اللّه عزّ وجلّ له ألف ألف حسنة، يغفر فيها لأقاربه ومعارفه وجيرانه وإخوانه»[1].

هذا الحديث يؤكّد شرطًا أساسيًّا وهو أن يكون السعي في قضاء الحاجة منطلقًا بدافع (التقرّب إلى اللّه تعالى) ممّا يُعطي للعمل قيمته العباديّة، بما للعبادة من مضمونٍ يتّسع لكلّ مساحات الحياة، ولا يقتصر على مساحة الصّلاة، والصيام، والحج...

المهمّ أن يكون العمل في أيّ مساحةٍ من مساحات الحياة مشدودًا إلى اللّه تعالى...

- قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:
- «تبسّمك في وجه أخيك صدقة» .
- «وأمرك بالمعروف صدقة».
- «ونهيك عن المنكر صدقة».
- «وإرشادك الرجل في أرض الضّلال لك صدقة».
- «وإماطتك الحجر والشّوك والعظم عن الطريق لك صدقة».
- «وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة»[2].

---

(١) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٦٧، ب ٢٧، ح٦.

(٢) الريشهري: ميزان الحكمة ٢/ ١٥٩٧، حرف الصّاد، الصدقة، كلّ معروف صدقة.







- «وكلّ خطوةٍ تخطوها إلى الصّلاة صدقة»[١].
- «ترك الشّر صدقة»[٢].
- «أفضل الصّدقة صدقة اللّسان، تحقن بها الدّماء، وتدفع به الكريهة، وتجرّ المنفعة إلى أخيك المسلم»[٣].

ما أسوأ الذين يُحرّكون الكلمة من أجل أن تسفك الدّماء، وأن يُقتل الأبرياء، وأن يُذبح الأطفال والشيوخ والنساء.

ما أسوأ الذين يُحرّكون الكلمة من أجل نشر الرّعب والعنف والفساد والدّمار في الأرض...

ما أسوأ الذين يُحرّكون الكلمة من أجل إشعال الفتن والصراعات والخلافات وبثّ روح الطائفيّة البغيضة، والعصبيّة العمياء...

ما أسوأ الذين يُحرّكون الكلمة من أجل العبث بالقيم والأخلاق، والترويج للمبادئ الضالّة والأفكار المنحرفة، والرؤى الفاسدة...

ما أسوأ الذين يُحرّكون الكلمة من أجل المتاجرة بالشعارات الزائفة والعناوين الكاذبة، والدعاوى الخادعة...

ما أحوجنا في هذا العصر إلى الكلمة النظيفة الصّادقة، وإلى الكلمة الواعية البصيرة، وإلى الكلمة المبدئيّة الهادفة، وإلى الكلمة الجريئة الصامدة...

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٥/ ٢٣٣، كتاب الصّلاة، أبواب أحكام المساجد، ب ٢٧، ح ٣.
(٢) المجلسي: بحار الأنوار٧٤/ ١٦٠، أبواب المواعظ والحكم، ب ٧ ، ح ١٦٨.
(٣) المصدر نفسه: ١٣/ ٣٨٩، ب ١٥ قصص إسماعيل (ع)، ح ٤.







أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾[١].

هكذا يكون الانتماء إلى الإسلام ليس مجرّد أفكار تسكن العقل، وليست مجرّد عواطف تعيش في القلب، وليس مجرّد عبارات راكدة لا تغيّر السلوك والطباع والأخلاق، الانتماء إلى الإسلام عقيدة حيّة متحرّكة تصنع الحياة وتربّي الإنسان، وترّشد السلوك.

الانتماء إلى الإسلام إيمانٌ وعمل، وحينما يتشكّل الإيمان بعيدًا عن العمل، وحينما يتحرّك العمل بعيدًا عن الإيمان، كان ذلك خللًا في الانتماء، لهذا أكدّت الآيات والروايات على مسألة التزاوج بين الإيمان والعمل:

- قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ...﴾[٢].
- قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].
- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[٤].

---

(١) إبراهيم: آية ٢٤ – ٢٧.
(٢) البقرة: آية ٦٢.
(٣) المائدة: آية ٦٩.
(٤) الكهف: آية ٨٨.







- قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار﴾[١].
- قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

هذه نصوصٌ قرآنيّةٌ ومثلها كثيرٌ كثيرٌ في كتاب اللّه، إلى جانب روايات وأحاديث صادرةٍ عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعن الأئمّة من أهل بيته عليهم السلام، كلّها تؤكّد بوضوحٍ، وبلغةٍ قاطعةٍ على ضرورة التزاوج بين الإيمان والعمل الصالح.

في هذا السياق تأتي كلمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «ما آمن بي من بات شبعانًا وأخوه المسلم طاو»[٣].

إنّه الإحساس بآلام الآخرين، وهمومهم، وحاجاتهم، فالإنسان المؤمن ليس أنانيًا يفكر في أن يشبع وإن جاع الآخرون، يفكّر في أن يلبس وإن عرى الآخرون، يفكّر أن يسكن وإن بقى الآخرون بلا مأوى، يفكّر في أن يتنعّم وإن بقى الآخرون يعيشون العناء والبؤس والحرمان، كلّ هذا لا يمثّل صدق الإسلام، وصدق الإيمان وصدق الانتماء.

(ما آمن بي..) ليس منتميًا انتماءً حقيقيًّا إلى ديني، إلى منهجي، إلى تعاليمي ، إلى أخلاقي، إلى سيرتي، (من بات شبعانًا)، من كان همّه أن يشبع هو فقط، أن يتلذّذ بالطعام هو فقط، أن يمتلىء هو فقط، (وأخوه المسلم طاو)، وأخوه في الإسلام، في الدّين، في العقيدة، يتضوّر

(١) البقرة: آية ٢٥.
(٢) المائدة: آية ٩.
(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة٢٤/ ٣٢٦، كتاب الأطعمة والأشربة، أبواب آداب المائدة، ب٤٤، ح٢.







من الجوع، ويتألّم من الظّمأ، ويئنّ من الحرمان، وهو يعلم به، ويعلم تضوّره، وتألّمه، وأنينه...

وفي هــذا المعنى جاءت كلماتٌ كثيرةٌ عن المعصومين، نعرض إلى بعضها بلا حاجةٍ إلى شروحٍ وإيضاحاتٍ فهي صريحة المعاني والدّلالات.

هذه الكلمات تؤكّد ضرورة أن تعيش ألم أخيك، جوعه، همّه، حاجته:

- قال الإمام الصّادق عليه السلام: «قال اللّه عزّ وجلّ: الخلق عيالي، فأحبّهم إليّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم»(١).
- وعنه عليه السلام: «... وإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكّل اللّه عزّ وجلّ به ملكين: واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه، يدعوان له بقضاء حاجته، ثمّ قال: واللّه لرسول اللّه صلى الله عليه وآله أسرّ بحاجه المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة»(٢).
- وعنه عليه السلام قال: «ما قضى مسلم لمسلم حاجةً إلّا ناداه اللّه تبارك وتعالى: عليّ ثوابك ولا أرضى لك بدونً الجنة»(٣).
- عن المشمعل الأسدي أنّه قال لأبي عبد اللّه عليه السلام: كنت حاجًّا، قال: «وتدري ما للحاجّ من الثواب؟ قال: لا، فقال: إنّ العبد إذا طاف بهذا البيت أسبوعًا وصلّى ركعتين وسعى بين الصفا والمروة، كتب اللّه له ستّة آلاف حسنة، وحطّ عنه ستّة آلاف سيّئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وقضى له ستّة آلاف حاجة للدّنيا كذا، وادّخر له للآخرة

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٣٦٧، كتاب الأمر والنهي، أبواب فعل المعروف، ب٢٧، ح٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٥٩، ب ٢٥ (استحباب قضاء حاجة المؤمن والاهتمام بها)، ح ٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٥٨، ح ٤.







كذا، فقلت: جُعلت فداك إنّ هذا لكثير، فقال: أفلا أخبرك بما هو أكثر من ذلك؟ قال: قلت: بلى، فقال عليه السلام: «لقضاء حاجة امرئٍ مؤمنٍ أفضل من حجّةٍ وحجّةٍ وحجّةٍ حتى عدّ عشر حِججٍ»(١).

- وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنّما هي رحمةٌ من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فان قَبِل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها، سلّط الله عليه شجاعًا من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفورًا له أو معذبًا، فإن عذره الطالب كان أسوأ حالًا»(٢).

- عن الإمام الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: « قيل: يا نبيّ الله، في المال حقٌّ سوى الزكاة؟ قال: «نعم، برّ الرّحم إذا أدبرت، وصلة الجار المسلم، فما [آمن بي] من بات شبعانًا وجاره المسلم جائع، ثمّ قال: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه»(٣).

- وقال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: «من بات شبعانًا وبحضرته مؤمنٌ جائع طاوٍ قال الله عزّ وجلّ: ملائكتي أشهدكم على هذا العبد إنّي قد أمرته فعصاني وأطاع غيري، ووكلته إلى عمله، وعزّتي وجلالي لا غفرت له أبدًا»(٤).

- وقال عليه السلام: «قال عليّ بن الحسين عليه السلام: من كان عنده فضل ثوبٍ

---

(١) المصدر نفسه: ١٣/ ٣٠٥، كتاب الحج، أبواب الطواف، ب ٤، ح ١١.
(٢) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٦٠، كتاب الأمر والنهي، أبواب فعل المعروف، ب ٢٥، ح ٩.
(٣) المصدر نفسه: ٩/ ٥٢، كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، ب ٧، ح ١٦.
(٤) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٢٦، كتاب الأطعمة والأشربة، أبواب آداب المائدة، ب٤٤، ح١.





وقدر أن يخصّ به مؤمنًا يحتاج إليه فلم يدفعه إليه أكبّه الله في النّار على منخريه»[١].

- وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «أيّما مؤمنٍ منع مؤمنًا شيئًا ممّا يحتاج إليه، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسودًّا وجهه مزرّقةً عيناه، مغلولةً يداه إلى عنقه، فيُقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثمّ يُؤمر به إلى النّار»[٢].

انظروا – أيّها الأحبّة – كيف وضع هذا الحديث الإنسان المقصر في قضاء حاجة أخيه، وهو قادرٌ على قضائها، في منزلة الخائن لله ورسوله.

هكـذا يريد الإسـلام للإنسـان المسلم أن يعيش درجـةً عـاليةً من الإحساس والشعـور بآلام الآخـرين، وبهمومهم، وبقضـاياهـم، وأن يكون على استعدادٍ دائم للتخفيف عن تلك الآلام والهموم، والتفاعل مع تلك القضايا، وإذاً كنّاً قد أشرنا إلى طائفةٍ من الكلمات المعصومة؛ التي شدّدت النكير على المتهاونين والمفرّطين تجاه حاجات الآخرين، وتجاه معاناتهم، فهذه كلماتٌ أخرى تتحدّث عن ثواب المبادرين لقضاء الحاجات، والمسارعين إلى إغاثة الملهوفين والبؤساء والمحرومين.

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... ومن فرّج عن أخيه كربة من كرب الدنيا نظر الله إليه برحمته فنال بها الجنّة، وفرّج الله عنه كُرَبَه في الدّنيا والآخرة»[٣].

---

(١) المصدر نفسه: ٥/ ١١٥، كتاب الصّلاة، أبواب أحكام الملابس، ب ٧٣، ح ٧.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٣٧٨، كتاب الأمر والنهي، أبواب فعل المعروف، ب ٣٩، ح ١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٤٤، ب ٢٢ (استحباب نفع المؤمنين)، ح ٦.







- ومن كلماته صلى الله عليه وآله: «من أغاث أخاه المسلم حتى يُخرجه من همّ وكربةٍ وورطةٍ كتب اللّه له عشر حسنات، ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات، ودفع عنه عشر نقمات، وأعدّ له يوم القيامة عشر شفاعات»(١).
- عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «أحبّ الأعمال إلى اللّه سرور تدخله على مؤمنٍ تطرد عنه جوعته وتكشف عنه كربته»(٢).
- وسُئل صلى الله عليه وآله: «أيّ الأعمال أحبّ إلى اللّه تعالى؟ قال: اتّباع سرور المسلم، قيل: يا رسول اللّه ما اتّباع سرور المسلم؟ قال: شبع جوعته، وتنفيس كربته، وقضاء دينه»(٣).
- عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «من أدخل على مؤمنٍ سرورًا خلق اللّه من ذلك السرور خلقًا فيلقاه عند موته فيقول له: أبشر يا ولي اللّه بكرامةٍ من اللّه ورضوان»(٤).
- عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «الخلق عيال اللّه، فأحبّ الخلق إلى اللّه من نفع عيال اللّه، وأدخل على أهل بيتٍ سرورًا»(٥).
- وقال صلى الله عليه وآله: «من قضى لمؤمنٍ حاجةً قضى اللّه له حوائج كثيرة، أدناها الجنّة»(٦).

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٧٣، ب ٢٢ (استحباب تفريج كرب المؤمن)، ح ٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٥٣، ب ٢٤ (استحباب إدخال السرور على المؤمن)، ح ١٢.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٥٦، ح ٢٠.
(٤) المصدر نفسه: ص ٣٥١، ح ٩.
(٥) المصدر نفسه: ص ٣٤١، ب٢٢ (استحباب نفع المؤمنين)، ح ١.
(٦) المجلسي: بحار الأنوار ٧١/ ٢٨٥، ب ٢٠ (قضاء حاجة المؤمنين والسعي فيها)، ح ٧.





- قال الإمام الصّادق عليه السلام لإسحاق بن عمّار: «يا إسحاق من طاف بهذا البيت طوافًا واحدًا كتب اللّه له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيّئة، ورفع له ألف درجة، وغرس له ألف شجرة في الجنّة، وكتب له ثواب عتق ألف نسمة حتى إذا صار إلى الملتزم فتح اللّه له ثمانية أبواب الجنّة فيُقال له: ادخل من أيّها شئت، قال: فقلت: جُعلت فداك هذا كلّه لما طاف؟ قال: نعم، أفلا أُخبرك بما هو أفضل من هذا؟ قال: قلت: بلى قال: من قضى لأخيه المؤمن حاجةً كتب اللّه له طوافًا وطوافًا حتى بلغ عشرة»[١].

- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «واللّه لأن أحجّ حجّة أحبّ إليّ من أن أُعتق رقبةً ورقبةً [ورقبةً] ومثلها ومثلها حتى بلغ عشرًا ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين، ولأن أعول أهل بيتٍ من المسلمين أسدّ جوعتهم، وأكسو عورتهم فأكفّ وجوههم عن النّاس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة [وحجّة] ومثلها ومثلها حتى بلغ عشرًا ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين»[٢].

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٣/ ٣٠٤، كتاب الحجّ، أبواب الطواف، ب ٤، ح ١٠.

(٢) الكليني: الكافي ٢/ ١٩٥، كتاب الإيمان والكفر، ب ٨٣ (قضاء حاجة المؤمن)، ح ١١.
















الفصل الرابع

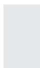
الخِصلة السادسة

• «ولا يَمَلُّ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ طُولَ دَهْرِهِ»














الخِصلة السادسة

(ولا يَمَلُّ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ طُولَ دَهْرِهِ)

فمن تمام العقل أن يكون المرء دائم السعي في طلب العلم والثقافة والمعرفة، لا يشبع من الازدياد، يجد اللّذة كلّ اللّذة في حضورِ مجلس علم، أو في قراءةِ كتابٍ، أو في ملازمةِ درس، أو في الاستفادة من حديث، أو في الاستماع إلى محاضرةٍ، أو في سؤالٍ يُضيف إليه معرفةً، أو في حوارٍ يمنحه بصيرةً...

إنّه يجد في العلم قيمةً كبيرةً، ما دام هذا العلم يقوده إلى هدى، ويبعده عن ضلال.

ويجد في الثقافة غايةً كبيرةً، ما دامت هذه الثقافة تأخذ به إلى طريق الصلاح والرشاد، وتنأى به عن دروب الغيّ والفساد.

ويجد في المعرفة عبادةً، ما دامت هذه المعرفة تنفتح به على اللّه سبحانه، وما دامت هذه المعرفة هي السبيل إلى رضوان اللّه تعالى.

دعونا نستنطق بعضَ كلماتٍ معصومةٍ صادرةٍ عن رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعن الأئمّة من أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بحسب ما وردت في عدّةٍ من مصادر الحديث، هذه الكلمات تحثّ على التفقّه والتعلّم والتثقّف في أمور الدين...





- في كلمةٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله: «أفٍّ لكلِّ مسلم لا يجعل في كلِّ جمعة [يعني في كلّ أسبوعٍ] يومًا يتفقّه فيه أمر دينًه ويسأل عن دينه»(١).

والتفقّه في أمر الدّين لا يعني - فقط - تعلّم الأحكام الفقهيّة، وإنّما يتّسع لكلّ ما يتّصل بأمر الدّين من عقائد وأفكار ومفاهيم وقيم وأخلاق ورؤى وتصورات، فالإنسان المسلم مطلوبٌ منه أن يتوفّر على:

- ثقافةٍ عقائديّة..
- ثقافةٍ فقهيّة..
- ثقافةٍ روحيّة..
- ثقافةٍ أخلاقيّة..
- ثقافةٍ اجتماعيّة..
- ثقافةٍ تاريخيّة..
- ثقافةٍ سياسيّة..
- ثقافة الحياة..

هذه الألوان من الثّقافات تشكّل ضرورةً لتكوين ذهنيّة الإنسان المسلم وفق الصيغة المستمدّة من الدّين ومفاهيمه وقيمه.

نتائج غياب الوعي والثقافة الدينيّة

فالحديث الآنف الذّكر يؤكّد ضرورة أن يُمارس الإنسان المسلم عمليّة التفقّه والتعلّم من أجل أن يُنمّي وعيه الدينيّ وثقافته الدينيّة، لأنّ غياب هذا الوعيّ وهذه الثقافة يؤدّي إلى نتائج خطيرة منها:

---

(١) البرقي: المحاسن، ص ٢٢٥، كتاب مصابيح الظلم، ب ١٣ (فرض طلب العلم)، ح ١٤٩.







١- العمل على غير بصيرة:

وهنا يتخبّط الإنسان في حركته وسلوكه وممارساته، وربّما تاه أو ضلّ أو انحرف..

- جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلّا بُعدًا»[١].

فقد يتصوّر هذا الإنسان الفاقد للبصيرة أنّه على الجادّة، إلّا أنّه يتحرّك في الدرب المنحرف، وفي الطريق الخاطئ.

فما أكثر أولئك الذين يتحرّكون في الدروب المنحرفة، وفي الطرق الخاطئة وهم يحسبون أنّهم سائرون في الدرب المستقيم، وفي الطريق القويم...

ولعلّ هؤلاء هم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢].

على رغم أنّ الآية نزلت في كفّار أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فإنّها تنطبق على كلّ الذين يعيشون الضّلال الفكريّ والروحيّ والعمليّ وهم يعتقدون أنّ هذا الانتماء الضّال هو طريق الخلاص والنجاة، وهو الطريق الذي يحقّق لهم النجاح والتقدّم والازدهار.

وربّما كان هؤلاء من أصحاب النظريّات والإيديولوجيّات الرافضة للدّين، كما هو شأن الاتجاهات العلمانيّة والرأسماليّة والشيوعيّة في هذا

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٤، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، ب ٤، ح ١١.

(٢) الكهف: آية ١٠٤.





العصر، فأصحاب هذه الاتجاهات يرون أنّ الخلاص كلّ الخلاص على يد هذه النظريّات وهذه الإيديولوجيّات، إلّا أنّهم خادعون أو مخدوعون، فهذا الفكر الذي يحملونه ويروّجون له ليس إلّا الوهم والسراب والزيف، والخداع والتّيه والضّلال والبؤس والشّقاء...

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى...﴾[١].

وربّما كان هؤلاء الذين يعيشون الضّلال ممّن يحملون عناوين دينيّة، كما كان الخوارج في عهد أمير المؤمنين عليه السلام..

قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن أهل هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢].

فقال: «أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم، وابتدعوا في دينهم، فحبطت أعمالهم، وأهل النهر منهم ليس ببعيد[يعني الخوارج]»[٣]، وفي رواية أخرى قال: «منهم أهل الحروراء».

والأمر ينطبق تمامًا في هذا العصر على (جماعات) تحمل من الدّين شعارًا، وهي تمارس الإرهاب، والقتل، وسفك الدّماء، كما يحدث في العراق وفي مناطق أخرى.

---

(١) طه: آية ١٢٤.

(٢) الكهف: آية ١٠٤.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٣٣/ ٤٢٤، ب ٢٥ (إبطال مذهب الخوارج)، ح ٦٣٢.





٢- التطبيقـات الخـاطئة:

من النتائج الخطيرة لغـياب الـوعـي الـدينيّ والثـقافة الـدينيّة التطبيقـات الخـاطئة التي تُسيء إلـى سمـعة الـدّين وسمعة المتديّنين.

- رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «قصم ظهري عالمٌ متهتّك وجاهلٌ متنسّك، فالجاهل يغشّ الناس بتنسّكه، والعالم ينفّرهم بتهتّكه»[١].

هذان الفصيلان من الناس يشكّلان خطرًا كبيرًا على الدّين:

الفصيل الأول العلماء المتهتّكون:

يُفترض في علماء الدّين أن يكونوا قادةً للناس، ونماذج يُقتدى بهم، وأدلّاء على طريق الله، فماذا يكون مصير النّاس، إذا انحرف العلماء، وفسق العلماء، وكذب العلماء، واغتاب العلماء، وداهن العلماء، وصمت العلماء، فالويل كلّ الويل للناس، ولدين الناس ولعقائد الناس، ولأخلاق الناس..

الفصيل الثاني الجهّال المتنسّكون:

إنّهم يُقدّمون صورةً شوهاء للتنسّك، وللتعبّد وللتديّن، لأنّهم لا يملكون الفقه والفهم والرؤية السليمة فيما يمارسون من تنسّك وتعبّد وتديّن، فتأتي الممارسة متخبّطةً خاطئةً مشوّهة، فيحسب الناس ما يصدر عنهم نُسكًا وعبادةً ودينًا، في حين أنّه شيءٌ آخر لا علاقة له بالنُّسك والعبادة والدّين.

- في كلمةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام: «لا خير في عبادةٍ ليس فيها تفقّه، ولا

---

(١) الريشهري: ميزان الحكمة ٣/٢٠٩٥، حرف العين، العلم، خطر العالم المتهتك والجاهل المتنسك.







خير في علمٍ ليس فيه تفكّر، ولا خير في قراءةٍ ليس فيها تدبّر»[١].

فإذا أردت - أخي المؤمن - أن تكون على بصيرة في أمر دينك، فاحرص كلّ الحرص على أن تتفقّه وأن تتعلّم، وأن تتثقّفً، والطّرق إلى ذلك كثيرةٌ وكثيرة:

- داوم على القراءة والمطالعة إن كنت قادرًا على ذلك، تزدد علمًا وفقهًا وثقافةً...
- حاول إن وجدت متّسعًا أن تحضر درسًا في الفقه أو العقيدة أو التفسير أو الأخلاق..
- كُن على تواصلٍ دائمٍ مع مرافد الوعيّ الدينيّ والثقافة الإسلاميّة...
- سل عمّا لا بدّ لك من علمه، ولا تُعذر في جهله -حديث لأمير المؤمنين[٢]-.

فاعط - أيّها المؤمن - من وقتك، ومن جهدك، ما يمنحك بصيرةً في دينك، وفقهًا في عبادتك، وهديًا في خطواتك...

- قال الإمام الكاظم عليه السلام: «تفقّهوا في دين اللّه، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرُتب الجليلة في الدّين والدّنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقّه في دينه لم يرض اللّه له عملًا»[٣].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥/ ص٣٦، ب ١٦ (ما جمع من جوامع كلم أمير المؤمنين عليه السلام)، ح ٢٤.
(٢) الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ب١٢، حرف السين، الفصل الثاني.
(٣) المجلسي: بحار الأنوار ١٠/ ٢٤٧، باب ١٦ (احتجاجات موسى بن جعفر)، ح ١٣.







البرنامج الثّقافيّ

في سياق بناء الذّات في خطّ الإيمان يجب التوفّر على مجموعة برامج ثقافيّة وروحيّة وأخلاقيّة وسلوكيّة واجتماعيّة وسياسيّة ورساليّة...

يعنينا هنا الحديث عن «البرنامج الثقافي» والذي من خلاله يتشكّل (الوعي الإيمانيّ) لدى الإنسان المسلم.

هذا البرنامج له أهمّيته الكبيرة في ضوء التحدّيات الخطيرة التي تُواجه وعي الأجيال وتُهدّد أصالة الانتماء، ممّا يفرض (التحصّن الفكريّ والثقافي) وفق برنامجٍ مدروسٍ يمتلك عناصر النجاح:

أ- الإخلاص.

ب- الرؤية الواعية.

ج- الشموليّة.

د- الخطة البصيرة.

ه- المحاسبة والتقويم.

وأهمّ مفردات (فقرات) البرنامج الثقافيّ:

١. الثقافة العقيديّة والفكريّة:

والتي من خلالها تتشكّل «البنية العقيديّة» في ذهنيّة الإنسان المسلم، بما تعنيه هذه «البنية» من صنع (المرتكزات العقيديّة) و(مجموعة الأفكار والرؤى والمفاهيم) وهنا يندرج ما يُسمّى بـ(أصول الدّين) و(أصول المذهب) وما ينتج عن هذه (الأصول) من (تصوّرات) تُكوّن (المنظومة الفكريّة والثقافيّة في الإسلام)..







ومن أجل تَشكُّل «الثقافة العقيديّة» يحتاج الإنسان المسلم إلى قراءة «الكتابات» التي تعالج «قضايا العقيدة» من أمثال:

١- التوحيد للشيخ الصّدوق.

٢- عقائد الإماميّة للشيخ محمد رضا المظفر.

٣- الإلهيّات للشيخ السبحاني.

٤- مسائل عقائديّة للسّيد محمد حسين فضل اللّه.

٥- أصول الدّين للسّيد كاظم الحائري.

٢. الثقافة القرآنيّة:

القرآن هو النبع الأول لإنتاج «ثقافة الإيمان» بكلّ امتداداتها وتكوّناتها، فلا يمكن أن يتشكّل «وعيٌ إيمانيٌّ» مع تغييب هذا الرافد الأساس، فعمليّة «الصوغ الفكريّ» في حاجةٍ إلى «استرفادٍ قرآنيّ» دائم.

وما تأكيد القرآن على «التدبّر» في التلاوة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]، إلّا تعبيرٌ عن ضرورة «التعاطي مع المضمون القرآنيّ» من أجل بناء الإنسان المسلم وعيًا وخلقًا وسلوكًا ورسالةً.. في حين تكون التلاوة «الفارغة من التدبّر» تلاوة راكدة لا تمارس دورًا في صنع الإنسان وإنتاج «صيرورته وتشكّله».

ومن أجل صُنع «الوعي القرآنيّ» يحتاج الإنسان إلى «قراءاتٍ قرآنيّة» فيما هي «التفاسير» وفيما هي «الدراسات القرآنيّة»، والمكتبة الإسلاميّة زاخرةٌ بالكثير من هذه التفاسير القديمة والحديثة، وبالكثير من الدراسات القرآنيّة المتنوعة.

---

(١) محمد: آية ٢٤.







يمكن أن نقرأ:

١- مجمع البيان للطبرسي.

٢- الميزان للطباطبائي.

٣- من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله.

٤- البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي.

٥- علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم.

٦- فهم القرآن لجواد علي كسّار.

٧- دراسات وبحوث قرآنيّة في فكر المرجع الدينيّ السيد محمد حسين فضل الله.

٨- في رحاب القرآن للشيخ الآصفي.

٣. الثقافة الفقهيّة:

ومن خلالها تتشكّل «الرؤية» التي تُحدّد (نمط السلوك والممارسة) في حياة الإنسان المسلم، فيما هي (طبيعة التكليف الشرعي) وجوبًا أو حرمةً أو استحبابًا أو كراهة أو إباحة أو صحة أو فسادًا أو غير ذلك ممّا يتعلّق بالأحكام الإلهيّة التكليفيّة أو الوضعيّة...

إنّ غياب (الرؤية الفقهيّة) يضع الإنسان أمام مخالفاتٍ شرعيّة، بما يترتّب عليها من (ارتباكاتٍ في التطبيق) و(تجاوزاتٍ في الممارسة) تؤدّي إلى (عقوباتٍ في الآخرة) فالحاجة ملحّة وكبيرة إلى أن ينمّي الإنسان المسلم (وعيه الفقهي) من خلال (برنامج) يغذّي هذا الوعي باستمرار، ويعّمق (ثقافة الفقه) و(بصيرة الشرع) في كلّ المواقف والممارسات..

ومن أجل صنع (الوعي الفقهي) يحتاج الإنسان المسلم إلى (قراءاتٍ







فقهيّةٍ) على مستوى (كتب الفتاوى) أو على مستوى (كتب الدراسات الفقهيّة) حسب قدرات الإنسان واستعداداته.

٤. الثقافة الروحيّة:

ومن خلالها تتجذّر (العلاقة مع اللّه سبحانه) فيما تعنيه هذه العلاقة من (حبٍّ) و(حياء) و(خوفٍ) و(رجاءٍ)، وبمقدار ما تتأصّل وترتقي هذه (المكوّنات) في داخل الإنسان المسلم، يتشكّل (المضمون الرّوحيّ) الذي يشدّ القلب والروح والعقل والسّلوك إلى آفاق (الانصهار والذوبان مع اللّه تعالى) في رحلةٍ عروجيّةٍ ربّانيّةٍ من خلال صلاةٍ خاشعة، ودعاءٍ خائف طامع، وتلاوةٍ يرتلّها قلبٌ يحمل الوجل لذكر اللّه، وذكرٍ هائمٍ في حبّ اللّه...

ولكي تتشكّل «الثقافة الروحيّة» يحتاج الإنسان المسلم إلى «قراءاتٍ روحيّةٍ» من خلال الكتب التي تعالج هذا الجانب من أمثال:

١- أبواب جهاد النفس من كتاب الوسائل.

٢- جهاد النفس للأستاذ حسين مظاهري.

٣- نظرات في الإعداد الروحيّ للشيخ حسين معن.

٤- القلب السليم للشهيد دستغيب.

٥- الجهاد الأكبر للسيّد الإمام الخميني.

٦- الجفاف الروحيّ للسيّد عبداللّه الغريفي (المؤلف).

٧- البرنامج اليومي في محاسبة النفس للسيّد عبد اللّه الغريفي (المؤلف).

٨- سيماء الصالحين للشيخ مختاري.







٥. الثقافة الأخلاقيّة والسلوكيّة:

ومن خلالها (تتهذّب النفس) و(يتروّض السلوك) و(تترشّد الحركة)، و(تتشكّل التقوى)، ومتى ما ضمرت (ثقافة الأخلاق والسّلوك) تعرضّت النّفس للتلّوث والفساد، وأصاب السلوك جموح وانحراف، وتاهت الحركة، واحتوشت الإنسان غوايات الشيطان وإغراءات الدنيا، ومشدودات الهوى..

فمن أساسيّات البناء والتكوين في حياة الإنسان المسلم التوفّر على (ثقافة الأخلاق والسلوك) من خلال (برنامج يوميّ) يقوّي هذه الثقافة، وينشّط حركتها، ويدفع بمساراتها الفاعلة والمنتجة، وبمقدار ما يكون هذا البرنامج جادًّا وهادفًا يكون له دوره الكبير في صنع (ثقافةٍ أخلاقيّةٍ وسلوكيّةٍ) قادرةٍ على تحصين الأفعال والممارسات.

ومن أجل صنع «ثقافة الأخلاق والسّلوك» يحتاج الإنسان المسلم إلى «قراءةٍ في كتب الأخلاق» من أمثال:

١- الخصال للشيخ الصّدوق.

٢- تحف العقول لابن شعبة الحرّاني.

٣- مكارم الأخلاق للطبرسي.

٤- المحجّة البيضاء للكاشاني.

٥- جامع السّعادات للنراقي.

٦- الأخلاق للسيّد عبد اللّه شبر.

٧- دراسات في الأخلاق للشيخ مظاهري.

٨- كتابات الشهيد مطهّري.

٩- دستور الأخلاق للأستاذ محمد عبد اللّه دّراز.







١٠- الاتجاه الأخلاقي في القرآن للدكتور مقداد يالجن.

١١- التربية الأخلاقيّة الإسلاميّة للدكتور مقداد يالجن.

١٢- فلسفة الأخلاق للأستاذ محمد يوسف موسى.

٦. الثقافة الاجتماعيّة:

وهي التي توفّر (الرؤية الاجتماعيّة) فيما تعنيه من ترشيد الحركة في داخل المجتمع على مستوى العلاقات، والخدمات، والانتماءات، والفعّاليات، وقد اهتم الدّين بهذه المكوّنات الاجتماعيّة، ووضع لها ضوابط وموجّهات تحميها من الارتباك والإنفلات ممّا يخلق توتّرًا وتمزّقًا وتشتّتًا وتفرّقًا في لحمة المجتمع وتماسكه وتوحّده، فمن الضروري لتحصين الواقع الاجتماعيّ أن يتوفّر الإنسان المسلم على (ثقافة اجتماعيّة) وفق (رؤى الدّين) وحسب حاجات الواقع ومتغيّراته، والتي يجب أن تُملأ بما يتلاءم مع تلك الرؤى الدينيّة...

من أجل أن يتشكّل «وعيٌ اجتماعيٌّ» وفق المنظور الإسلامي، مطلوب من الإنسان المسلم أن يقرأ (الدراسات الإسلاميّة) التي تناولت (البعد الاجتماعيّ) وهي متوفّرة في المكتبة الإسلاميّة من أمثال:

١- الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعيّة للسيد محمد باقر الصدر.

٢- النظريّة الاجتماعيّة في الإسلام للدكتور زهير الأعرجي.

٣- دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة للسيد محمد باقر الحكيم.

٤- الروابط الاجتماعيّة في الإسلام للدكتور حسين إبراهيم.







٥- العلاقات الاجتماعيّة في الإسلام للسيد عباس الموسوي.

٦- مفاهيم الجماعات في الإسلام لرضوان السيد.

٧- نداء الوحدة والتقريب للشيخ واعظ زاده.

٨- أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة للسيد محمد حسين فضل الله.

٧. الثقافة التاريخيّة:

ومن خلالها يتشكّل (الوعي التاريخيّ) فيما يحمله من رؤى حول (قضايا التاريخ) و(رجال التاريخ)..

وفي قراءتنا للتاريخ الإسلاميّ يجب أن نمايز بين أمرين: تاريخ الإسلام وتاريخ المسلمين.

فالأول ينتظم قضايا تمثّل جزءًا من حركة الإسلام وحركة الرّسالة، ورجالها هم الرّموز الممثّلة للإسلام والرسالة (الرّموز المعصومة).

والثاني ينتظم قضايًا تعبّر عن حركة المسلمين وحكّام المسلمين ممّا لا يُعدّ جزءًا من حركة الإسلام وحركة الرّسالة...

من أمثلة الأمر الأول:

- البعثة النبويّة.
- الهجرة النبويّة.
- فتح مكة.
- حادثة الغدير.
- مواقف الأئمّة عليهم السلام.







ومن أمثلة الأمر الثاني:

- حدث السّقيفة.
- الفتوحات التي تمّت على يد الخلفاء والحكّام.
- تاريخ الحكّام والفقهاء ورجال المسلمين.

ومن أجل امتلاك (الوعي التاريخيّ) يحتاج الإنسان المسلم إلى (قراءاتٍ تاريخيّةٍ) بكلّ تنوّعاتها وامتداداتها.

وقد دوّنت وعالجت (كتاباتٌ) كثيرةٌ (موضوعات التاريخ) في قضاياه ورموزه ورجاله، رغم أنّ أغلب (مدوّنات التاريخ) كانت بإشراف (الحكّام والسّلاطين).

إلاّ أنّ المكتبة الإسلاميّة تحتضن عددًا من (الدراسات التاريخيّة) التي تتّسم بالنزاهة والموضوعيّة..

ونقرأ من الكتابات:

١- تاريخ الإسلام (كتابٌ دراسيٌّ صادرٌ عن وحدة تأليف الكتب الدراسيّة - لجنة التاريخ، قم، المنظّمة العالميّة للحوزات والمدارس الإسلاميّة) والكتاب يتكوّن من أربعة أجزاء.

٢- قبساتٌ من سيرة القادة الهداة (كتابٌ دراسيٌّ صادرٌ عن وحدة تأليف الكتب الدراسيّة - قم، المنظّمة العالميّة للحوزات والدراسات الإسلاميّة) والكتاب يتكون من ثلاثة أجزاء.

٣- سيرة المصطفى للسيّد هاشم معروف الحسني.

٤- سيرة محمد رسول الله ﷺ للسيّد هاشم الموسوي..







٥- أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف للسيّد محمد باقر الصدر

٦- الأئمّة الاثنا عشر لعادل الأديب.

٧- دروس من السيرة النبويّة للشيخ عدنان فرحان.

٨- في رحاب أهل البيت للسيّد محمد حسين فضل الله.

٩- إعادة كتابة التاريخ ليوسف الهادي.

٨. الثقافة السّياسيّة:

لكي يتشكّل (وعيٌ دينيٌّ) قادرٌ على التّعاطي مع حركة الواقع في كلّ امتداداته ومكوّناته يُفترض أن يمتلك الإنسان المسلم (بصيرةً سياسيّةً)، وحينما نتحدّث عن (البصيرة السّياسيّة) لا نعني (الكم المتراكم) من المعلومات السّياسيّة، فربّما لا يشكّل ذلك (بصيرةً سياسيّةً) إذا كان ذلك (تراكمًا ساذجًا) و(اجترارًا غبيًّا)، وإنّما نعني بالبصيرة السّياسيّة «امتلاك الرؤية الفقهيّة والموضوعيّة» في التعامل مع الواقع السّياسيّ، وهنا نؤكّد على ضرورة (التزاوج) بين (الفهم الشرعيّ) و(البعد الموضوعيّ) في حركة الواقع السّياسي، فغياب (الرؤية الموضوعيّة) يضع (الفهم الشرعيّ) في المسار الخاطئ، وكذلك غياب (الرؤية الفقهيّة) يضع (القرار السّياسيّ) في المسار المنحرف...

ولكي يصوغ الإنسان المسلم (وعيه السّياسي) يحتاج إلى (متابعاتٍ سياسيّةٍ جادّة)، وكذلك إلى (قراءاتٍ سياسيّةٍ) فيما هي الرؤية الإسلاميّة وفيما هو (الواقع المتحرّك)، ويمكن الاستفادة من الكتابات الكثيرة التي تُعالج (رؤىً سياسيّةً) وفق منظورٍ إسلاميٍّ أو وفق المنظور الآخر...





يُقرأ:

١- ثورة الفقيه ودولته (قراءة في عالمية مدرسة الإمام الخميني) إعداد وحوار حميد حلمي زادة.

٢- الإسلاميّون والتحدّيات المعاصرة (مطارحاتٌ فكريّةٌ وسياسيّةٌ لسماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله).

٣- مسيرة قائد شيعي لجمال سنكري.

٤- خيارات الأمّة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين لفرح موسى.

٥- الفقيه والدولة (الفكر السّياسي الشيعي) لفؤاد إبراهيم.

٩. الثقافة الإسلاميّة العامّة:

إذا كان للإسلام رؤاه العقيديّة والفقهيّة والروحيّة، والأخلاقيّة والتربويّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، فإنّه يمتلك (رؤى عامة) تُشكّل (معالم ثقافيّة) تحكم كلّ المسارات في حركة الواقع، وتؤسّس لمواقف الإنسان المسلم على كلّ المستويات.

وهذه المعالم الثقافيّة العامّة يمكن استنباطها من خلال (قراءةٍ شاملة) لكلّ الإسلام في مكوّناته المتعدّدة، وهذا يعني أنّ المعالم الثقافيّة العامّةً تُشكّل حضورًا في كلّ (المفاصل) ممّا يُعطي لهذه المفاصل «هيكليّةً واحدةً مترابطةً» فلا يمكن أن ينفصل (المفصل العقيديّ) عن بقيّة المفاصل، وكذلك (المفصل الفقهيّ) و(المفصل الروحيّ) و(المفصل الأخلاقيّ) وهكذا بقيّة المفاصل، فهي تُمثّل (منظومةً متكاملة)، وهذا يعني أنّ غياب بعض المفاصل يُلغي قدرة المفاصل الأخرى على الحركة







والعطـاء، إلّا أنّ (المنتج الأكمل) لا يتحقّق إلّا من خلال (التكامل) بين تلك المفاصل...

ومن أجل إثراء الثقافة الإسلاميّة العامّة لدى الإنسان المسلم، نُوجّه إلى قراءة الكتب التالية:

١- مفاهيم إسلاميّة عامّة (عشر حلقات) من محاضرات السيد محمد حسين فضل اللّه.
٢- اخترنا لك (مجموعة مقالاتٍ متفرّقةٍ للسّيد محمد باقر الصّدر).
٣- رسالتنا (مجموعة كلماتٍ للسّيد محمد باقر الصّدر).
٤- أصول المعارف الإنسانيّة للشيخ محمد تقي مصباح.
٥- الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته للشيخ محمد أمين زين الدين.
٦- كتابات الشيخ مطهّري.
٧- كتابات الشيخ عبد الهادي الفضلي.
٨- كتابات الشيخ محمد مهدي الآصفي.
٩- مشكلة الأفكار في العالم الإسلاميّ، لمالك بن نبي.
١٠- روح الدّين الإسلاميّ للشيخ عفيف طبارة.
١١- الندوة للسيد محمد حسين فضل اللّه.

١٠. ثقافة العصر:

وتعني مجموعة (المكوّنات الثقافيّة) والتي تشكّل (منتجًا) لحركة العصر في متغيّراته ومستجدّاته، وضروراته وحاجاته، ولكي يكون الإنسان المسلم قادرًا على التعاطي مع حركة الواقع المتجدّد إيجابيًا أو





سلبيًا ووفق رؤى الدّين وأحكامه وقيمه، فهو في حاجةٍ إلى التعرّف على ثقافة هذا الواقع المتحرّك والتي نعبّر عنها بثقافة العصر، وكلّما كان «وعي العصر» أعمق وأنضج، فإنّ التعاطي مع حركته تكون أكثر نضجًا وانضباطًا وواقعيّة.

وينتظم ضمن ثقافة العصر (مجموعة النظريّات والأيديولوجيّات) المناقضة للفكر الدينيّ بشكلٍ عام، أو للفكر الإسلاميّ بشكلٍ خاص، وهنا يجب أن يكون الإنسان المسلم على «بصيرةٍ» بكلّ ما يتحرّك حوله من «نظريّاتٍ وأيديولوجيّات» تتناقض مع (رؤى الإسلام ومفاهيمه) حتى يكون محصّنًا ضدّ هذه النظريّات والأيديولوجيّات وحتى يكون قادرًا على محاسبتها ورفضها...

وننصح هنا بقراءة كتابات الشهيد السيّد محمد باقر الصّدر: فلسفتنا، اقتصادنا، البنك اللاربوي في الإسلام، الأسس المنطقيّة للاستقراء، فهي من أنضج الدراسات في مجال المقارنة بين الإسلام والنظريّات الأخرى...

كما يمكن قراءة بعض ما صدر من معالجات (الأصالة والتجديد) من أمثال:

١- الإسلاميّون والتحديّات المعاصرة للسيّد محمد حسين فضل اللّه.

٢- العلمانيّة للشيخ محمد مهدي شمس الدّين.

٣- منهج الشهيد الصّدر في تجديد الفكر الإسلاميّ لعبد الجبّار الرفاعي.





٤- التديّن والحداثة لمحمد جواد لاريجاني.

٥- الإسلام والعصر، الدكتور البوطي والدكتور طيب تيزيني.

٦- التحدّيات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلاميّة للشيخ محمد مهدي الأصفي.

٧- المجتمع الدينيّ والمدني لأحمد واعظي.

٨- الحركات الإسلاميّة في القرن الرابع عشر لمرتضى المطهّري.

٩- نحن والغرب جدل الصّراع والتعايش لعبد الجبّار الرفاعي.

١٠- الفكر الإسلاميّ تطوّراته ومساراته الفكريّة لزكي ميلاد.

١١- الإسلام ومتطلبات العصر للشيخ مرتضى مطهّري.

١٢- الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات لعبدالله ناصح علوان.

II. الثقافة الرساليّة:

من خلالها يتشكّل لدى الإنسان المسلم (الوعي الرساليّ الحركيّ) فيما يعنيه من توظيفٍ فاعلٍ هادفٍ لكلّ القدرات الذهنيّة والنفسيّة والعمليّة في خدمة الإسلام.

وإنّ غياب (الوعي الرساليّ الحركيّ) يؤدّي إلى خلق (شللٍ) و(ضمورٍ) في مجالات الدّعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى مستوى كلّ الفعاليّات الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والجهاديّة..

من الضروري جدًا أن يُنشِّط الإنسان المسلم جميع (قدراته وإمكاناته الرساليّة)، وهذا يفرض أن يتوفّر على درجةٍ مقبولةٍ من (الوعي الرساليّ)، إلّا أنّ صنع (هذا الوعيّ) يحتاج إلى «تثقيفٍ رساليٍّ»





مستمرّ... **مـن خلال قراءة (الكتابات) التي نؤصّل وتؤسّس لهذه الثقافة الرساليّة الجهاديّة.**

١- تُقرأ الكتابات التي ترجمت لحياة الإمام الخميني.

٢- تُقرأ الكتابات التي ترجمت لحياة الشهيد السيّد محمد باقر الصّدر.

٣- تُقرأ الكتابات التي ترجمت لحياة الشهيد مرتضى مطهّري..

٤- تُقرأ كتابات السّيد محمد حسين فضل اللّه:

- أسلوب الدّعوة في القرآن.
- خطوات على طريق الإسلام.
- قضايانا على ضوء الإسلام.
- الإسلام ومنطق القوّة.

٥- رسالتنا (مجموعة كلماتٍ للسيّد محمد باقر الصّدر).

٦- إلى الطليعة المؤمنة للشيخ محمد أمين زين الدّين.

٧- تُقرأ الكتابات التي أرّخت للحركات الإسلاميّة.

٨- المشروع الإصلاحي للإمام حسن البنا (بحوث مؤتمر مئويّة الإمام البنّا).









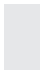
الفصل الخامس

الخِصال السابعة والثامنة والتاسعة

- «الفَقْرُ في اللهِ أَحبُّ إليهِ مِنَ الغِنَى»
- « والذُّل في اللهِ أحبُّ إليهِ مِنَ العِزِّ في عَدُوِّهِ»
- «والخُمولُ [في اللهِ] أَشْهَى إليهِ مِنَ الشّهْرَة»












الخِصال السابعة والثامنة والتاسعة

(الفَقْرُ في الله أَحبُّ إليه مِنَ الغنَى..
والذُّل في اللهِ أحبُّ إليهِ مِنَ العِزِّ في عَدُوِّهِ..
والخُمُولُ [في اللهِ] أَشْهَى إليهِ مِنَ الشُّهْرَةِ)

المعيار الأساس في حركة الإنسان المسلم

من خلال هذه الخصال الثلاث يحدد لنا الإمام الرّضا عليه السلام (المعيار الأساس) في حركة الإنسان المسلم ألا وهو (رضا اللّه تعالى)، وعند هذا المعيار تسقط كلّ المعايير الأخرى التي تتنافى مع (رضا اللّه تعالى).

وهنا يبرز الفارق الكبير بين الإنسان المؤمن الذي يعتمد (رضا اللّه) منطلقًا ومعيارًا وقاعدة، والإنسان الآخر الذي يعتمد منطلقاتٍ ومعايير وقواعد أخرى...

ولنا في التطبيقات الآتية شواهد وإيضاحات:

١- في مجال الحبّ والبغض:

الإنسان المؤمن يحبّ في اللّه ويبغض في اللّه، وأما الآخر فتحكم حبّه وبغضه (الدوافع المصلحيّة والأغراض النفعيّة الذاتيّة).

- عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لأصحابه: «أيّ عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: اللّه ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصّلاة







وقال بعضهم: الزّكاة، وقال بعضهم: الصّوم، وقال بعضهم: الحجّ والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد فقال رسول الله ﷺ: لكلّ ما قلتم فضل، وليس به، ولكنّ أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله، والبغض في الله، وتوالي أولياء الله، والتبرّي من أعداء الله»[١].

٢- في مجال الرّضا والغضب:

الإنسان المؤمن رضاه لله، وغضبه لله، وأما الآخر فتحكم رضاه وغضبه مصالحه الذاتيّة.

أضع بين أيديكم هذا المثال:

كثيرون يتفجّرون غضبًا حينما تُمسُّ مصالحُ دنياهم، ولكن حينما تُمسُّ مصالح دينهم لا يخفق لهم قلب، ولا تَطرف لهم عين، وكأنّ ذلك لا يعنيهم.

لا يعني هذا أنّ الإنسان يجب أن يصمت ويرضى عندما تُصادر حقوقه ومصالحه الدنيويّة، الأمر ليس كذلك، فمسؤولية هذا الإنسان أن يتحرّك، أن يطالب، أن يغضب، أن ينتفض، أن يثور.

كلّ المحرومين مسؤوليّتهم أن يرفعوا صوتهم عاليًا، أن يصرخوا، أن يحتجّوا، وهذا حقّهم المشروع الذي كفلته الشرائع والقوانين...

- في الحديث: «عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج شاهرًا سيفه»[٢].

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٧٧، كتاب وأبواب الأمر والنهي، ب ١٧، ح ٤.

(٢) لم نعثر على مصدره







الـذين لا يجدون عـمـلًا، وظيـفةً، سكـنًا، لقـمـةً، لـهـم كـلّ الحـقّ ألّا يصمتوا، وأن يعتمدوا كلّ الأساليب المشروعة من أجل الحصول على حقوقهم، مع الحفاظ على الأمن والاستقرار.

ويجب أن يقف مع هذه المطالب العادلة كلّ القادرين من أفرادٍ، وجمعيّاتٍ، ومؤسّساتٍ وقوى وفعّاليات.

ويجب على الحكومة، وجميع مؤسّساتها أن تتصدّى بصدقٍ وجدّيةٍ وفاعليّةٍ لإنقاذ هؤلاء من أزماتٍ صعبةٍ وخانقةٍ أطبقت على كلّ حياتهم.

إذًا، أن يغضب الإنسان من أجل لقمة عيشه، ولقمة أطفاله، ومن أجل مساحةٍ صغيرةٍ من الأرض تأويه وتأوي أطفاله، أمرٌ مشروعٌ كلّ المشروعيّة.

ولكنّ السؤال:

هل أن هذا الإنسان يغضب، وينتفض، ويصرخ، ويعتصم، ويحرّك احتجاجاتٍ ومسيراتٍ حينما تُنتهك الأحكام الإلهيّة، والقيم والأخلاق؟ ما حجم غضبنا عندما نسمع ونرى أن (أماكن الدّعارة والفساد الأخلاقيّ) تنتشر بشكلٍ مرعبٍ في كلّ مدن وقرى هذا البلد المسلم؟

٣- ومـن التطبيقات: الحـالات الثـلاث التي ذكـرها الإمـام الرّضـا عليه السلام في حديثه:

الحالة الأولى: «الفقر في الله أحبّ إليه من الغنى»:

هنا فقرٌ يضع الإنسان في خطّ طاعة الله وهنا غنى يضع الإنسان في خطّ معصية الله.





فأيّ الخيارين أحبّ إلى الإنسان المؤمن؟

لا شكّ أنّ الخيار الأول هو الأحبّ إليه، وأمّا إذا كان في (خيار الغنى) ما يحقّق الطاعة للّه تعالى، فلن يتردّد الإنسان المؤمن في قبول هذا الخيار، وإن كان في خيار الغنى ما يضع الإنسان أمام مسؤوليّات صعبةٍ جدًا، وأمام مخاطر شديدة.. وقليلون الذين ينجون من فتنة المال والغنى.

- قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[1].
- وورد في الحديث: «إنّه ما من يوم إلّا وملكٌ ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم، قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثيرٍ يطغيك»[2].

الحالة الثانية: «والذّلُّ في اللّه أحبّ إليه من العزّ في عدوّه»:

القيمة كلّ القيمة عنده في القرب من اللّه، وليس مهمًا أن يعلو أو ينخفض عند النّاس، فلا يحزنه ذلٌّ ما دام ذلك من أجل اللّه، ولا يفرحه عزٌّ ما دام ذلك في غضب اللّه.

ويبدو أنّ كلمة (العزّ) وكلمة (الذّل) في هذا المقطع من الحديث تعنيان (الارتقاء والانخفاض في نظر الناس)، فلا يهمّ الإنسان المسلم هذا الارتقاء والانخفاض ما دام واثقًا ومطمئنًا أنّه يتحرّك في خطّ طاعة اللّه ورضاه، فما قيمة أن يملك (عزًّا في نظر الإنسان) وهو (الذّليل الحقير عند اللّه)، وأيّ ضيرٍ أن يكون (ذليلًا في نظر النّاس)وهو (العزيز الرفيع عند اللّه).

---

(١) العلق: آية ٦ – ٧.

(٢) النراقي: جامع السعادات ٢/ ٧٦، المقام الثالث، ذمّ الغنى.





إنّ «العزّة الحقيقيّة» هي أن يكون الإنسان شديد العلاقة مع الله تعالى، فهو مصدر العزّة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾(١).

وقال تعالى متحدّثًا عن المنافقين ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(٢).

وقد أراد الله تعالى للمؤمنين أن يكونوا الأقوياء الأعزّاء ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، فالارتباط الصادق بالله تعالى يمنح المؤمنين القوّة والصلابة في مواجهة كلّ التحدّيات والإغراءات والمساومات «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك» الكلمة المشهورة للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله.

وكلمته الأخرى يخاطب ربّه «إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي».

فالمؤمن قويٌّ حينما يعيش الإحساس بالعزّة الموصولة بالله سبحانه ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

هذا المفهوم من (العزّة) التي منحها الله تعالى للإنسان المؤمن، لا يسمح بالتنازل عنها مهما كانت الظّروف، جاء في الحديث عن الإمام

---

(١) فاطر: آية ١٠.
(٢) النساء: آية ١٣٨ -١٣٩.
(٣) المنافقون: آية ٨.
(٤) آل عمران: آية ٢٦.







جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام: «إنّ اللّه فوّض إلى المؤمن أموره كلّها، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلًا»[١] وقال: «إنّ المؤمن أعزّ من الجبل، الجبل يستقلّ منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقلّ من دينه شيء»[٢].

إنّ العزّة جزءٌ من «كينونة» المؤمن لأنّها تُعبّر عن عمق «الثّقة باللّه» وعمق «الارتباط باللّه»، فمنه وحده سبحانه تُستمدّ العزّة والرّفعة والغنى، كما قال مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام: «فكم قد رأيت يا إلهي من أُناس طلبوا العزّ بغيرك فذلّوا، وراموا الثّروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتّضعوا»[٣].

وجاء في الحديث: «من أراد عزًّا بلا عشيرة، وغنىً بلا مال، وهيبةً بلا سلطان، فلينتقل من ذلّ معصية اللّه إلى عزّ طاعته»[٤].

ولكي نقوّي «إحساسنا بالعزّة» نحتاج إلى:

١- كثرة التأمّل والتدبّر في عظمة اللّه تعالى وفي هيبته وجلاله وجماله وقدرته.

٢- كثرة التأمّل والتدبّر في (الآيات والروايات) التي تحدّثت عن (العزّة).

٣- أن نُعمّق في داخلنا «حسّ الرقابة الإلهيّة» من خلال الارتقاء بمستوى (الحبّ للّه)، و(الحياء من اللّه)، و(الخشية من اللّه) و(الطمع في ثواب اللّه).

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٥٦، كتاب وأبواب الأمر والنهي، ب ٢١، ح ١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الصحيفة السجادية: ص ٤٤١/ دعاء ٤٧ (دعاؤه عليه السلام متفرّغًا إلى اللّه عزّ وجلّ).

(٤) الصدوق: الخصال ص ١٦٩/ ح ٢٢٢.





٤- أن نـروِّض أنفسنا عـلى كلّ المـمـارسـات التـي تعبِّر عـن (عـزّة الإيمان)، وأن نتحرّر من كـلّ أشـكال السّـقوط فـي (الـذّل والهـوان).

٥- الالتزام بطاعة اللّه والابتعاد عن معصيته تعالى.

- تقدّم قول الإمام الصّادق عليه السلام: «من أراد عزًّا بلا عشيرة، وغنىً بلا مال، وهيبةً بلا سلطان فلينتقل من ذلّ معصية اللّه إلى عزّ طاعته».
- وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «من أذلّ نفسه في طاعة اللّه فهو أعزّ ممّن تعزّز بمعصية اللّه»[١].
- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا عزّ كالطّاعة»[٢].
- وقال عليه السلام في مناجاته: «إلهي كفى بي عزًا أن أكون لك عبدًا وكفي بي فخرًا أن تكون لي ربًّا»[٣].

٦- الاعتراف بالحقّ والخضوع له.

- الصدق عزّ.
- كفّ الأذى عن الناس.
- ترك القال والقيل.
- الحلم عزّ.
- طاعة اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.
- التقوى عزّ.

---

(١) الريشهري: ميزان الحكمة ٣/ ١٩٥٩، حرف العين، العزّة، موجبات العزّة (١- طاعة اللّه)،

(٢) المصدر نفسه: ص ١٩٥٨.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٧٤/ ٤٠٠، ب ١٥، باب مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام، ح ٢٣.







- الشجاعة عزّ.
- الاجتماع عزّ.

(انظر: البرنامج التعليمي للأخلاق والآداب الإسلاميّة ص٤٥٣ – ٤٥٤)

٧- ما يؤدّي إلى العزّ:

- القناعة وقطع الطّمع.
- طاعة اللّه عزّ وجلّ.
- عدم طلب الحاجة من النّاس.
- إنصاف النّاس.
- قبول الحقّ والأخذ به.
- حفظ اللّسان.
- الصفح عن الآخرين والعطاء لهم وصلتهم.
- كظم الغيظ والصبر على المصيبة.

(انظر: البرنامج التعليمي للأخلاق والآداب الإسلاميّة ص٤٥٤)

٨- أمور تؤدّي إلى الذّل:

■ **التعلّق بالدّنيا وحبّ الشّهوات:**

- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من تلذّذ بمعاصي اللّه أورثه اللّه ذلًّا»[١].
- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «من أحبّ الحياة ذلّ»[٢].

(١) الريشهري: ميزان الحكمة ٢/ ٩٩٤، حرف الذال، الذّنب، الابتهاج بالذنب.

(٢) المصدر نفسه: ص ٩٨٣، حرف الذال، الذلّة، ما يورث الذلّ.







- وعنه عليه السلام: «ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبةٌ تذلّه»(١).

■ **إهانة النّاس:**

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أذلّ النّاس من أهان الناس»(٢).

■ **الظلم ذلّ:**

- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّما الذّليل من ظلم»(٣).

■ **الطّمع:**

- عن الإمام عليّ عليه السلام: «ثمرة الطّمع ذلّ الدّنيا وشقاء الآخرة»(٤).
- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا ذلّ كذلّ الطّمع»(٥).

■ **ترك الحقوق:**

- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «ترك الحقوق مذلّة»(٦).

(انظر: البرنامج التعليمي للأخلاق والآداب الإسلاميّة ص٤٥٨ – ٤٥٩)

الحالة الثالثة: «الخمول «في الله» أشهى إليه من الشهرة):

إنّ الإنسان قد يُنشر له من الثناء والمدح والصّيت والشّهرة ما بين المشرق والمغرب ولا يساوي عند الله جناح بعوضة...

---

(١) الكليني: الكافي ٢/ ٣٢٣، كتاب الإيمان والكفر، ب ١٢٧ (الطمع)، ح ١.

(٢) الريشهري: ميزان الحكمة ٢/ ٩٨٤، حرف الذال، الذلّة، أذل الناس.

(٣) المصدر نفسه: ص ٩٨٤، حرف الذال، الذلّة، ما يورث الذل.

(٤) الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٠٧، ب٤، حرف الثاء، ف ١.

(٥) الريشهري: ميزان الحكمة ٢/ ٩٨٣، حرف الذال، الذلّة، ما يورث الذّل.

(٦) المصدر نفسه.







وربّ كبيرٍ كبيرٍ عند الناس هو عند اللّه صغير حقير...

وربّ مغمورٍ خامل الذّكر بين الناس إلّا أنّه عند اللّه من الأولياء...

- قال رسول اللّه ﷺ: «ربّ ذي طمرين لا يُؤْبَه له، لو أقسم على اللّه لأبرّه، لو قال: اللهمّ أسألك الجنّة! لأعطاه الجنّة ولم يعطه من الدنيا شيئًا»(١).
- وقال ﷺ: «قال اللّه عزّ وجلّ: إنّ من أغبط أوليائي عندي رجلًا خفيف الحال [سوء العيش وقلّة المال]، ذا حظٍ من صلاة، أحسن عبادة ربّه بالغيب، وكان غامضًا في الناس [الخامل الذّليل]، جعل رزقه كفافًا فصبر عليه، عجّلت منيّته، فقلّ تراثه، وقلّت بواكيه»(٢).

إنّ العبد المؤمن ليستعذب الخمول ما دام ذلك من أجل اللّه، وإنّه ليبغض الشهرة التي تبعده عن اللّه.

وقد حذّرت الآيات والرّوايات من حبّ الجاه والشهرة من أجل هوى النفس وأطماع الدنيا:

- قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣).
- وقال النبيّ ﷺ: «حبّ الجاه والمال يُنبتان في القلب النّفاق كما يُنبت الماء البقل»(٤).

---

(١) النراقي: جامع السعادات ٢/ ٢٦٦، المقام الرابع، حبّ الخمول.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١/ ٧٨، كتاب الطهارة، أبواب مقدّمة العبادات، ب ١٧، ح ٤.

(٣) القصص: آية ٨٣.

(٤) المازندراني: شرح أصول الكافي ٩/ ٣٣٧، باب حب الدنيا، ح ٢.





- ورُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «حسب امرئ من الشّر - إلّا من عصمه الله - أن يشير الناس إليه بالأصابع»[١].
- وقال ﷺ: «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادًا من حبّ الجاه والمال في دين الرجل المسلم»[٢].
- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لا تطلبنّ الرياسة ولا تكن ذنبًا ...»[٣].
- وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «إيّاكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف الرجل إلّا هلك وأهلك»[٤].

ملاحظة:

هناك حدٌّ أدنى من الجاه يُشكّل حاجة، ما دام لم يكن من أجل الاستعلاء والتفاخر، ومن أجل هوى النفس وأطماع الدنيا، وكان بأسباب مشروعة، وخاصّة إذا وظّف الانسان المؤمن هذا الجاه في خدمة الدّين، ومصالح العباد.

- قال الله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

من أجل علاج (حبّ الجاه المذموم) تُقرأ (كتب الأخلاق) فقد وضعت لذلك (مجموعة علاجات).

(اقرأ: جامع السّعادات ج ٢: ٣٦٤ – ٣٦٦).

(١) النراقي: جامع السعادات ٢/ ٣٥٠، المقام الرابع، فصل ذم حبّ الجاه والشهرة.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣٤٩.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٥٠.
(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٥/ ٣٥٠، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٥٠، ح ٤.
(٥) يوسف: آية ٥٥.















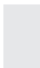

الفصل السادس

الخِصلة العاشرة

• «لا يَرَى أَحدًا إلّا قالَ: هُو خَيْرٌ مِنِّي وأَتْقَى»












الخِصلة العاشرة

(لا يَرى أَحدًا إلّا قالَ: هُو خَيْرٌ مِنِّي وأَتْقَى)

مع الإمام الرّضا عليه السلام في خاتمة الخصال، إذ يتابع حديثه فيقول: «والعاشرة ما العاشرة؟ قيل له: ما هي؟

قال عليه السلام: «لا يرى أحدًا إلّا قال: هو خيرٌ منِّي وأتقى... إنّما الناس رجلان: رجلٌ خيرٌ منه وأتقى، ورجلٌ شرٌ منه وأدنى..

فإذا لقي الذي هو شرٌ منه وأدنى قال: لعلّ خير هذا باطنٌ وهو خيرٌ له، وخيري ظاهرٌ وهو شرٌ لي.

وإذا رأى الذي هو خيرٌ منه وأتقى تواضع له ليلحق به..

فإذا فعل ذلك، فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره، وساد أهل زمانه».

وهكذا تضعنا هذه الكلمات الربّانيّة المضيئة أمام (نكران الذّات) كقيمةٍ أخلاقيّةٍ كبيرةٍ تعبّر عن درجةٍ عاليّةٍ من السّمو الروحيّ والارتقاء الإيمانيّ.

إنّ التحرّر من (أنانيّات الذّات) ليس أمرًا سهلًا، فهو في حاجةٍ إلى ترويضٍ دائم، وفي حاجةٍ إلى إرادةٍ قويّة، وقبل ذلك في حاجةٍ إلى إيمانٍ صادق.





(الأنانيّة) ظاهرةٌ سلوكيّةٌ خطيرةٌ بما تحمله من رغبةٍ متأصّلة في إلغاء الآخر، ومن نزعةٍ مأسورةٍ إلى حبّ البروز والشهرة، والتعالي على الآخرين.

ومن أبرز مظاهر (الأنانيّة): صفة العُجب، وصفة التكبّر، هاتان الصفتان الذّميمتان القبيحتان.

ما معنى العُجب؟ وما معنى التكبّر؟ وهل يوجد فرقٌ بين العنوانين؟

العُجب: هو استعظام النّفس من خلال بعض الصّفات والأعمال (العلم، المال، الموقع الاجتماعيّ، العبادة...)، وقد وردت روايات كثيرة تؤكّد مقت اللّه تعالى لهذه الظّاهرة.

- قال رسول اللّه ﷺ: «ثلاثٌ مهلكات: شحٌ مطاع، وهوى مُتّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[١].
- وقال ﷺ: «لو لم تُذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العجب»[٢].

أن يمارس الإنسان عبادةً فيشعر بالزهو والمنّة على اللّه سبحانه بعبادته، وأنّه أدّى لربّه كامل حقّه، هذا الشّعور من أخطر المحبطات لثواب العبادة.

ونُنبّه هنا إلى أنّ مجرّد السرور بالعبادة والطاعة لا يُعدّ من العُجب

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١/ ١٠٢، كتاب الطهارة، أبواب مقدمة العبادات، ب ٢٣، ح ١٢.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٦٩/ ٣٢٩، ب ١١٩، ذم الشكاية من اللّه وعدم الرضا، ح ١١.







ولا تبطل به العبادة، العُجب استعظام العمل والطّاعة، وإحساسٌ بالمنّة على اللّه سبحانه.

- عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «قال اللّه عزّ وجلّ لداوود عليه السلام: يا داوود بشّر المذنبين، وأنذر الصدّيقين قال: كيف أُبشِّر المذنبين وأُنذر الصدّيقين؟ قال: يا داوود بشِّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذّنب، وأُنذر الصدّيقين ألّا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلّا هلك»[١].
- وقال الإمام الباقر عليه السلام قال: «دخل رجلان المسجد أحدهما عابدٌ والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق، والعابد فاسق، وذلك أنّه يدخل العابد المسجد مدلًّا بعبادته، يدلّ بها فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في التندّم على فسقه، ويستغفر اللّه عزّ وجلّ ممّا صنع من الذّنوب»[٢].

وأما **(التكبّر)**: فهو الشّعور بالاستعلاء على الغير، وإظهار ذلك عمليًا..

هناك (كبرٌ)، وهناك (تكبّر):

■ **الأول:** مجرّد الشّعور بالاستعلاء على الغير من دون إظهار ذلك عمليًّا.

■ **والثاني:** الشعور بالاستعلاء على الغير مع إظهار ذلك عمليًّا.

(١) الكليني: الكافي ٢/ ٣١٨، كتاب الإيمان والكفر، ب ١٢٦ (العُجب)، ح ٨.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٧، ح ٦.







ما الفرق بين العُجب والتكبّر؟

العُجب: هو استعظام النفس من دون الشعور بالاستعلاء على الغير.

والتكبّر: شعورٌ بالاستعلاء على الغير.

في التكبّر يوجد طرفان: متكبِّرٌ ومتكبَّرٌ عليه.

وفي العُجب يوجد طرفٌ واحد: المُعجَبُ بنفسه.

والآيات والروايات الذّامة للتكبّر كثيرة:

- قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[١].
- وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢].
- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّةٍ من خردل من كبر ...»[٣].
- وقال صلى الله عليه وآله: «يقول الله: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في ناري»[٤].
- وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ أبغضكم إلينا وأبعدكم منّا في الآخرة: الثرثارون المتشدّقون المتفيهقون، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين المتشدقين، فمن المتفيهقون؟ قال: المتكبّرون»[٥].

---

(١) غافر: آية ٣٥.

(٢) غافر : آية ٧٦.

(٣) الطبرسي: مشكاة الأنوار، ص ٤٠٠، ب ٥ (في مكارم الأخلاق)، فصل ٢ (التواضع).

(٤) النوري: مستدرك الوسائل ١٢، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، ب ٥٨، ح ١٧.

(٥) الريشهري: ميزان الحكمة ٣/ ٢٦٥٥، حرف الكاف، الكبر، المتكبّر.







نعود إلى كلمات الإمام الرّضا عليه السلام قال: «العاشرة ما العاشرة؟، قيل له: ما هي؟ قال عليه السلام: لا يرى أحدًا إلّا قال: هو خيرٌ منّي وأتقى).

هذا الإنسان قتل في نفسه (أنانية الذّات) وشعور الاستعظام، وإحساس الاستعلاء، فلم يعد يرى أحدًا إلّا وهو خيرٌ منه وأتقى، كم من النّاس يملكون هذا المستوى من الاستعلاء النفسي، وهذا المستوى من نُكران الذّات؟

الواقع يُبرهن على أنّ هذا النّمط من الناس قليلون قليلون.

يتابع الإمام الرّضا عليه السلام كلماته فيقول: «إنّما الناس رجلان [أي بحسب الواقع والحقيقة]: رجلٌ خيرٌ منه وأتقى، ورجلٌ شرٌّ منه وأدنى، فإذا لقي الذي هو شرٌّ منه وأدنى قال: لعلّ خير هذا باطنٌ وهو خيرٌ له، وخيري ظاهرٌ وهو شرٌّ لي».

إنّه يحاول دائمًا أن يضغط على أنانيّته حتى لا تنزع نفسه إلى التعالي والتعاظم على الآخرين، قد يلتقي إنسانًا يُشير ظاهره إلى أنّه شرٌ منه وأدنى، غير أنّه يبقى يتّهم نفسه، ويبحث عن مرجِّحات تُعطي الآخر أفضليّة، وإن كان ظاهره يوحي بأنّه شرٌّ منه وأدنى، كون هذا الآخر قد يملك من الخصائص والأعمال المستورة ما تجعله أفضل منه، فبعض الناس يكون باطنهم أكبر من ظاهرهم، وبحسب الحديث «ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة»[١].

ثمّ يتّجه إلى نفسه ليخاطبها بألّا تغتّر من ظاهرٍ قد لا يوافقه باطن،

(١) المتقي الهندي: كنز العمّال ٣/٦٧٤، كتاب الأخلاق، ف ٢، ح ٨٤٢٨.







وبحسب الحديث «من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه يوم القيامة»[1].

ويستمرّ الإمام عليه السلام في حديثه فيقول: «وإذا رأى الذي هو خيرٌ منه وأتقى تواضع له ليلتحق به...».

كثيرون يصعب عليهم أن يعترفوا للآخرين بالفضل والمنزلة والمكانة، إنّها الأنانيّة المقيتة ونزعة البروز والظّهور.

وأما المؤمن الذي تسامت نفسه وأصبح مشدودًا إلى جمال الله وجلاله، ولم يعد مأسورًا إلى (أنانيّات الذّات) فهو متواضعٌ كلّ التواضع لأهل الفضل، يعترف لهم بالمكانة والمنزلة متمنّيًا اللحاق بهم، «فإذا فعل (المؤمن) ذلك: فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره، وساد أهل زمانه..».

إنّ خُلق التواضع لله تعالى ولعباد الله من أجمل الصّفات وأعظمها فمن خلاله يتحرّر الإنسان من الكبرياء والغرور والعُجب...

وقد حثّت الأخبار على هذا الخُلُق العظيم(٢):

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن تواضع في غير مسكنة، وأنفق مالًا جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذّلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة».

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نقلنا هذه الأخبار من كتاب (جامع السعادات) للشيخ النراقي، ج١، ص ٣٥٩ - ٣٦٢، ب٢، المقام الثاني، التواضع ومدحه.







- وقال ﷺ: «أربعٌ لا يعطيهنّ اللّه إلّا من يُحبّه: الصّمت وهو أول العبادة، والتوكّل على اللّه، والتواضع، والزّهد في الدنيا».
- وقال ﷺ لأصحابه: «مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة! قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: التواضع).
- وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «طوبى للمتواضعين في الدنيا! هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا! هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرّة قلوبهم في الدنيا! هم الذين ينظرون إلى اللّه تعالى يوم القيامة».
- وقال ﷺ: «إنّ التواضع لا يزيد العبد إلّا رفعة، فتواضعوا يرحمكم اللّه».
- وأوحى اللّه تعالى إلى داوود عليه السلام: «يا داوود! كما أنّ أقرب الناس إلى اللّه المتواضعون كذلك أبعد الناس من اللّه المتكبّرون».
- وقال الصّادق عليه السلام: «التواضع أصل كلّ شرفٍ نفيس ومرتبةٍ رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيّات العواقب».

والتواضع ما يكون للّه وفي اللّه، وما سواه فكبر، ومن تواضع للّه شرّفه اللّه على كثير من عباده، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السّماوات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين، قال عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ







رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[١].

وأصل التواضع من إجلال اللّه وهيبته وعظمته، وليس للّه عزّ وجلّ عبادة يقبلها ويرضاها إلّا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلّا المقربون من عباده المستقلين بوحدانيته، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٢].

وقد أمر اللّه - عزّ وجلّ - أعزّ خلقه وسيّد بريته محمدًا ﷺ بالتواضع، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء، وإنهنّ لا يأتين إلّا منها وفيها، ولا يسلم الشّرف التامّ الحقيقيّ إلّا للمتواضع في ذات اللّه تعالى.

وهكذا تتكامل صفات العقل عند الإنسان المسلم «فإذا فعل ذلك، فقد علا مجدُه، وطاب خيرُه، وحسُن ذكره، وساد أهل زمانه».

نسأل اللّه أن يجعلنا ممّن ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، وأن يُلهمنا حبّه وخشيته، وأن يكتبنا من عباده الصالحين، إنّه نعم المولى ونعم المعين ...

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين

(١) الأعراف: آية ٤٦.

(٢) الفرقان: آيه ٦٣.

(٣) الشعراء: آيه ٢١٥.









مصادر المعلومات

١- القرآن الكريم.

٢- الأمالي، الصدوق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، مؤسسة البعثة، قم - إيران.

٣- الكافي، الكليني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الأضواء، بيروت - قم.

٤- بحار الأنوار، المجلسي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

٥- تحف العقول، الحرّاني، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

٦- جامع السعادات، النراقي، نسخة من (الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، النجف)، مؤسسة إسماعيليان، قم - إيران.

٧- الخصال، الصدوق، ١٤٠٣هـ ، جماعة المدرسين، قم - إيران.

٨- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، تحقيق وشرح: السيد حسن القبانجي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، مؤسسة إسماعيليان، قم - إيران.

٩- الصلاة في الكتاب والسنة، الريشهري، الطبعة الأولى، دار الحديث، قم - إيران.

١٠- عدّة الدّاعي، ابن فهد الحلّي، مكتبة وجداني، قم — إيران.

١١- عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، الطبعة الأولى، دار الحديث، قم - إيران.

١٢- كشف الخفاء، العلجوني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.







١٣- كنز العمّال، المتقي الهندي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٤- المحاسن، البرقي، سنة الطبع ١٣٧٠هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

١٥- مستدرك الوسائل، النوري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران.

١٦- مشكاة الأنوار، علي الطبرسي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، دار الحديث، قم - إيران.

١٧- ميزان الحكمة، الريشهري، الطبعة الأولى، دار الحديثن قم - إيران.

١٨- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، دار البلاغة، قم - إيران.

١٩- وسائل الشيعة، الحر العاملي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران.





من إصدارات لجنة الغريفي الثقافيّة

١. الجفاف الروحي الأسباب والعلاجات .

٢. في ذكرى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأسبوع الوحدة.

٣. إرشادات روحية للحجاج والزائرين.

٤.الحسين زفرة لن تهدأ.

٥. يوم القدس العالمي.

٦. العطلة الصيفية (الدلالات - الأهداف - البرامج).

٧. هكذا الحياة، بسمة ودمعة.

٨. الضّيافة الربانيّة.

٩. البرنامج اليومي في محاسبة النفس.

١٠. ومضات من وحيّ عاشوراء. بقلم العلامة السيد أحمد الغريفي

١١. الزهراء القدوة وقضايا المراة المعاصرة.

١٢. عقوق الوالدين (من كبائر الذّنوب الموبقات المهلكات).

١٣. كمال العقل.



